جامعة الشهيد حمّة لخضر- الوادي-
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المضمون التربوي للدرس العقدي –كتاب الفتح الرّباني والفيض الرحماني للشيخ عبد القادر الجيلاني باب الإلهيات أُنموذَجًا–

مذكّرة تخرّج تَدخُل ضمن متطلّبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية
–تخصّص: عقيدة إسلامية.

إعداد الطالبة:
يسرى اوليدي

الأستاذ المشرف:
أد. معمر قول

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. جمال الأشراف	أستاذ محاضر.أ	**جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي**	**رئيسًا**
أ.د. معمر قول	أستاذ التعليم العالي	**جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي**	**مشرِفًا ومقرّرا**
د. زهير بن كتفي	أستاذ محاضر.أ	**جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي**	**ممتحنًا**

السنة الجامعية: 1443- 1444هـ / 2022-2023م

جامعة الشهيد حمّة لخضر- الوادي-
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

المضمون التربوي للدرس العقدي –كتاب الفتح الرّباني والفيض الرحماني للشيخ عبد القادر الجيلاني باب الإلهيات أُنموذَجًا–

مذكّرة تخرّج تَدخُل ضمن متطلّبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية
–تخصّص: عقيدة إسلامية.

إعداد الطالبة:
يسرى اوليدي

الأستاذ المشرف:
أد. معمر قول

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. جمال الأشراف	أستاذ محاضر.أ	جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	رئيسًا
أ.د. معمر قول	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	مشرِفًا ومقرّرا
د. زهير بن كتفي	أستاذ محاضر.أ	جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي	ممتحنًا

السنة الجامعية: 1443- 1444هـ / 2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَامُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَنْ يَشَآءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: 21]

إهداء

الحمد لله الذي جعل طلَبَ العلمِ عبادةً تُبتَغى بها الدّنيا والآخِرة، وأعانَ العيونَ التي باتَتْ في سبيلِ تحصيلِه ساهِرة، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إلى النّبعِ السَّخيّ الذي أرتوي منه في كل حالاتي، إلى التي غمرَتْني بعطائها وحنانِها، وتضحياتِها المُستمِيتة في سبيل راحتي وسعادتي، **"أمي الحبيبة".**

إلى الحِصن الحامي، إلى الظّلّ الذي آوي إليه في كل حين،

مَن علّمَني كيف أكون، **"أبي الغالي".**

إلى قوتي وفخري، إخوتي **"سهيل، مُحَمَّد رامي، خالد، محسن راضي، عبد المؤمن".**

إلى المدرسة التي تعلّمتُ منها الأمل، و أنّه لا مستحيل مع الله، خالَتَيّ **"عائشة ونجاة".**

إلى أخيّاتي اللّائي جَبَرَني اللهُ بِهِنّ، رفيقاتي: **"كريمة، ندى، حوريّة، رتيبة".**

إلى كل أساتِذتي الأفاضل في تخصّص العقيدة الإسلامية،

وفي قسم أصول الدين وفي كُليّتنا المباركة.

إلى كلّ مَن دافَع عن العقيدة الإسلامية بإخلاص.

إلى أرواح شهداء غزّةَ الأبيّة وفلسطينَ الحبيبة، التي سَكَنتْنا قبل أن نسكُنها،

وإلى المرابطين والمرابطات في بيتِ المقدِس وأكنافه.

إلى كلّ مَن شجّعني وساندني معنويّا ومادّيّا، ولو بكلمةٍ طيّبة أو دعوةٍ صادقة.

إلى كلّ مَن ضاقت السطور بذكرهم فوَسعهم قلبي، إلى أهلي وأحبّتي في كلّ مكان،

أهدي هذا العمل المتواضع.

يسرى

شكر وعرفان:

حينما يكون العطاءُ فاعلا، والجهدُ مميّزًا، والثمرةُ ملموسة،
عندها يكون لِلشّكر معنًى وللثّناء قيمة.

بِكل تجلّيات العِرفان أقدّم شُكري وامتناني إلى المُوجِّه والمُحفّز
أستاذي الدكتور المِعطاء **"معمّر قُول"**،
الذي كان له الفضلُ العظيمُ—بعد المولى عزّ وجلّ-
في تشجيعي وتوجيهي طيلة سنوات الدراسة الجامعية،
والّذي صَبرَ على إلحاحي وإصراري وكثرة أسئلتي واستفساراتي،
ولم يقابلها إلا بِرحابةِ صدرٍ وعطاءٍ فكريّ ومعنويّ.
وإلى السادة أعضاء اللّجنة المُناقِشة، الذين تكرّموا بالاطّلاع على
موضوعي وتصويبه.

فاللهَ أسألُ أن يباركَ فيكم جميعا ويفتح عليكم فتوحَ العارفين،
ويجعلكم ذخرًا للدّين والأمّة، دُمتُم مَنبعًا للعطاء
ومَعينًا لا ينضَب، مع فائق احترامي وتقديري.

ملخّص الدراسة:

انطلاقًا ممّا تمثّله العقيدة في حياة المسلمين؛ فهي الأساس الذي تقوم عليه أفعالهم وسلوكاتهم، ونظرًا لغياب دور العقيدة وانطفاء شعلة الإيمان في حياتهم، بسبب التحدّيات المعاصِرة (مِن غزو فكري وثقافي، وعولمة...)، فقد جاءت هذه الدراسة للتّأكيد على دور العقيدة في تربية النفوس، وضرورة إحياء شعلة الإيمان في القلوب، من خلال إبراز المضامين التربوية للدرس العقدي –باب الإلهيات أنموذجًا–، استقراءً من كتاب "الفتح الرباني والفيض الرحماني" للشيخ عبد القادر الجيلاني.

فتناولنا فيها الثمراتِ التربويّةَ للإيمان بالله والإيمان بالقضاء والقدر على مستوى النفس والمجتمع، من خلال استنباط آراء الجيلاني فيها وتحليلها.

ومن أهم النتائج التي توصّلنا إليها:

– شمولية الإيمان لجميع مناحي الحياة، وضرورة تفعيله فيها خاصة الجانب التربوي منها.

– أن الأمة الإسلامية –فردًا وجماعةً– إذا تحقّقت بثمرات الإيمان وعَمِلت بها، تَصِل إلى السعادة والنصر والتمكين –بإذن الله–.

Study summary:

The Islamic creed is the basic fondation on which Muslim's actions and behavior are based. However, due to contemporary challenges (cultural, intellectual and globalization invasion),the of tame of faith, has been extinguished in the hearts of many Muslims. Therefore, this study emphasizes the rote of Islamic creed in the purification of the soul. and the necessity of surviving the flame of faith in it, this is done through highlighting the educational contents of faith and believing lesson, (the divinities part as a model) extrapolation from the book of "El- FATEH ELRABBANI oua EL- FAID EL-RAHMANI" written by EL- CHEIKH ABD EL KADER AL DJILANI, where we dealt with the following results and benefits of (EL Iman) believing in god and disteny, theism (faith in god), fatalism (faith and justice), at the level of soul and society by taking into consideration EL DJILANI'S ideas and analysis.

The main consequences are as follow:

faith includes all aspects of life the necessity of activating faith in our life especially in the purification aspect.

If the Islamic nation follow: the results of the Islamic creed and faith, it will achieve happiness victory and empowerment (success).

مقدمة

مقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمدُ للهِ ذي المِنن والطَّوْل، والقوّة والحَوْل، والغاية والصّوْل، رافعِ الحقّ ومُعليه، وقامع الباطل ومُرديه، ومُعزّ الدّين ومُدليه. الحمد لله وكفى والصّلاة والسّلام على الحبيبِ المصطفى –ﷺ– وبعد:

لقد أصاب النفسَ الإنسانية وهْنٌ وتشتّتٌ وانحراف منذ قرون الاستعمار وما خلَّفه من أزمات نفسيّة كالشّعور بالدُّونية والضّعف والانبهار، وفي ظلّ الانتشار الرّهيب للعولمة، والغزو الفكريّ والثقافيّ وتحدّيات العصر، حتّى أضحَت النفسُ مشرّدةً مشتّتةً بينها؛ تبحث عن كينونتها التي فقدَتها في ظلّ هذه الظروف، جرّاءَ الفراغِ الرّوحيّ الذي خلّفته هذه التحدّيات؛ فقد أحدثت انفصالًا عظيمًا وفجوةً كبيرةً بين الإنسان ودينه وعقيدته –التي تُعرّفه بنفسه–، وحاولت طمس هويّته الإسلاميّة باستهدافها العقيدةَ والأخلاقَ؛ إذْ شجّعته على السّعي نحو شهواته والاستمتاع بالحياة بمادّياتها فقط، كما حاولَت هدْم القيم الفاضلة والعادات الأصيلة في المجتمع الإسلاميّ. فساهمت هذه التحدّيات والظروف في تكوين شخصية هذا الإنسان الحضاريّ؛ حتى صيَّرَتْها شخصيّةً مادّيةً شهوانيّة، سلبيّةً، أنانيّةً، متشائِمةً، مقلّدةً، متحرّرةً من مرجعيّتها ومبادئها الإسلامية وغاياتها.

في حين أنّ الحضارةَ الإسلامية –لتحقيق التّمكين– تحتاج الصورةَ المثالية للإنسان الخليفة، الذي يسعى لأداءِ وظيفته الكبرى التي كلّفه الله بها، وتحقيقِ الغاية العظيمة التي خلقه تعالى لأجلها؛ إذْ قال –تبارك وتعالى–: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾؛ بأنْ يعبدَ الله وفق شرعه ومنهجه الذي وضعه سبحانه للعالمين، ويُحيِي شعلةَ الإيمان في قلبه وروحه وفِكره وسلوكه. فما سببُ انحرافِه وتشتّتِه وضياعِه إلّا انطفاءُ هذه الشعلة الإيمانية الرّبانية بداخله، وما صلاحُه واستقامته إلا بتمسّكه بعقيدته ودينه.

كما أثّرت تلك الظروف على الفكر الإسلامي كذلك، فتسرّب إليه الوهْن وأصابه الفتور وخاصة الدرس العقديّ منه، الذي أصبح بحاجة إلى تجديد وتفعيل في حياة المسلمين.

فبرز مفكّرون ومصلحون معاصرون حاولوا إخراج الدرس العقديّ من الجدالات الكلامية النظرية القديمة، والانتقال به إلى الفاعلية في حياة الفرد والمجتمع، والتأكيد على دور الإيمان والعقيدة في تربية النفوس.

ومن هؤلاء الشيخُ عبد القادر الجيلاني، الإمام المربّي الذي أنشأ طليعةً ممّن فهموا الإسلام الفهمَ المطلوبَ وأحيَوه في نفوسهم عقيدةً وعلمًا وعملًا؛ فكثيرا ما كان يبيّن في دروسه ومجالسه لتلامذته ومريديه دورَ العقيدة في التربية، وفي ضبط سلوك الإنسان؛ إذْ بها تنطبع شخصيّتُه وسلوكياته، ومن أهم أعماله التي برز فيها ذلك كتابه "الفتح الربّاني والفيض الرّحماني" الذي تميّز بأسلوبِه السَّلِس فخاطب القلوب قبل العقول، وثرائِه بمواضيعَ متنوعة بين العقيدة والتربية وتزكية النفوس.

ونحن كمشروع باحثين في تخصّص العقيدة الإسلامية كان لزامًا علينا –من باب الوفاء لتخصّصنا ولعلماء الأمة– أن ننفض الغبار عن مثل هذه الأعمال ونسلّط الضوء عليها دراسةً وتحليلًا.

2– أهمية الموضوع: فاخترت أن أبرز المضمون التربوي للدرس العقديّ في باب الإلهيات من كتاب الفتح الرّباني والفيض الرحماني، لِما لهذا الموضوع من أهمية بالغة تجلّت في:

– أهمية العقيدة في حياة المسلمين بشتّى مجالاتها وخاصة التربوي منها.

– كونه موضوعًا يؤكّد على ضرورة إحياء دور الدرس العقدي في مجال التربية وتفعيله فيه.

– كونه موضوعًا يستثمر أحدَ أهمِّ آثارِ الشيخ عبد القادر الجيلاني –وهو كتاب الفتح الرباني– في إبراز المضامين التربوية لمسائل العقيدة.

3– الإشكالية الرئيسة: ولفهم الموضوع فهمًا مُلِمّا شاملا طرحت الإشكالية التالية:

فِيمَ تتمثّل المضامين التربوية للدرس العقدي –باب الإلهيات أنموذجًا– من خلال كتاب "الفتح الرّباني والفيض الرحماني" لعبد القادر الجيلاني، وما هي تجلّياتها على النفس والمجتمع؟

الأسئلة الفرعية: ولا بدّ من طرح أسئلة فرعية تخدم الإشكاليّة الرئيسة وتوضّح الجوانب المختلفة للموضوع:

1– من هو الشيخ عبد القادر الجيلاني وما أهمّ آثاره؟

2- ما المقصود بالمضمون التربوي للدرس العقدي؟

3- ما هي الثمرات التربوية المرجوّة من الإيمان بالله والإيمان بالقضاء والقدَر؟

4- أهداف الدراسة: ولقد سعيتُ في بحثي هذا إلى ما يلي:

- الإشارة إلى حاجة الأمّة إلى توظيف العقيدة في مناحي الحياة كلها (النفسية، الاجتماعية، الأسرية...)، والخروج من دائرة الجدل والنظر والتصور إلى الواقع العملي.
- تحيين المضامين العقدية التربوية والبحث عن فاعليتها.
- التأكيد على دور الدرس العقدي في البناء الحضاري والتأسيس لإنسان الخلافة.
- التأكيد على دور العقيدة في مواجهة التحديات المعاصرة (كالعولمة، الغزو الثقافي، مأزق الأخلاق، الانبهار...)
- إبراز آثار الإيمان بالله تعالى وبقضائه وقدَره في تربية النفوس وتأديبها.

5- الدراسات السابقة: ومن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع سابقا:

ما لها صلة كلية بموضوعي:

- مقال علمي موسوم بـ: "التوحيد في فكر الشيخ عبد القادر الكيلاني" للدكتور عبد القادر أحمد يونس الزبيدي، في مجلة آداب الرافدَيْن- العدد (54)، سنة 1430هـ/ 2009م:

قدّم فيه الباحث ترجمة موجزة للشيخ عبد القادر، وتحدّث عن الإيمان بالله وتوحيده في فكره، وكيف كان يؤكّد للناس -على اختلاف مقاماتهم- على شمولِ الإيمان لجميع مناحي الحياة والواقع العملي، ودورِه في تربية النفوس وتزكيتها، كما ذكر الباحث أن الشيخ عبد القادر تحدّث عن الاعتراض على أقدار الله بصفته بابًا من أبواب الشركِ بالله ونقضِ توحيده.

وقد تناولت في بحثي كذلك الثمرات التربوية للإيمان بالله تفصيلا؛ إذْ قسّمت الإيمان بالله إلى الإيمان بوجوده تعالى وأثره التربوي، والإيمان بالأسماء والصفات وأثره التربوي، والإيمان بالإرادة الإلهية، ثم الثمرات التربوية للإيمان بالقدَر.

وما لها صلة جزئية بموضوعي:

- مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الدين للدكتور معمر قول، والموسومة بـ: "فقه الإيمان عند بديع الزمان سعيد النورسي دراسة تحليلية في ضوء رسائل

النور" بجامعة الجزائر سنة 1424- 1425هـ، حيث تناول الدكتور في الفصل الرابع من مذكرته ثمرات الإيمان في حياة الإنسان، وعدّد ثمرات الإيمان بالله والملائكة والنبوة والآخرة، والقدر على مستوى النفس والمجتمع من خلال رسائل النور، أما دراستي فاختصّت بالثمرات التربوية لباب الإلهيات فحسب، من خلال كتاب الفتح الرباني.

– مقالان علميّان للدكتور علي الصلابي على الموقع الإلكتروني الجزيرة نت: الأول موسوم بـ: "الإيمان بالله تعالى.. فوائده وآثاره وثمراته" بتاريخ: 2018/05/27 والثاني بعنوان: "الإيمان بالقدر.. ثمار وآثار طيبة" بتاريخ: 2018/06/14؛ إذْ تحدّث الدكتور في المقال الأول عن ثمرات الإيمان بالله وآثاره في حياة الفرد والأمة في الدنيا والآخرة، وفي المقال الثاني عن ثمرات الإيمان بالقَدَر وآثاره على عقلية المسلم ونفسيته وسلوكه وعلاقته بِربّه وبِمن حوله، والحياة العامة. وهو ما تناولتُه في دراستي، مع اختلاف الطرح؛ إذْ كانت دراستي استقراءً من كتاب الفتح الرّباني: فذكرت الثمرات التربوية للإيمان بالله والإيمان بالقضاء والقدر من خلال هذا الكتاب.

هذه بعض الدراسات الأكاديمية، فضلًا عن كتبٍ أخرى درست هذا الموضوع أبرزها:

– "كتاب التوحيد مضامينه على الفكر والحياة" للمفكر الفلسطيني إسماعيل راجي الفاروقي، الذي تحدّث فيه عن شمول التوحيد لجميع مناحي الحياة الإنسانية (من الفكر، والأسرة، والمجتمع والاقتصاد والسياسة)؛ فأكّدَ على أن التوحيد هو جوهر الخبرة الدينية وجوهر الحضارة، ومبدأ التاريخ، ومبدأ المعرفة، ومبدأ الأخلاق، ومبدأ النظام الاجتماعي، ومبدأ الأسرة، ومبدأ النظام السياسي، ومبدأ النظام الاقتصادي، ومبدأ الأمة، والنظام العالمي...فكانت دراسته في هذا الكتاب أشمل وأعمّ وأعمق ممّا درسته في مذكّرتي؛ إذ خصّصتها للمضمون التربوي لباب الإلهيات فقط على مستوى النفس والمجتمع.

6– أسباب اختيار الموضوع: ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يلي:

– الأسباب الموضوعية:

– ضرورة تجديد الدرس العقدي والخروج به من الجدل إلى مواكبة الواقع.

أما **الأسباب الذاتية** فهي:

– الرغبة الملحّة في مواضيع تفعيل مسائل العقيدة في مجال التربية.

– الحرص على توظيف المسائل العقدية في الحياة الواقعية؛ فقد أصبح يؤرّقني مشكل بقائنا في الجدالات القديمة التي لم يعد لها داعٍ في واقعنا المعاصر.

– الرغبة في تسليط الضوء على آثار الشيخ المربّي عبد القادر الجيلاني والاهتمام بها، وفاءً لخدمته للدين والعقيدة.

7– منهج البحث: وقد اعتمدت في بحثي على المنهج الوصفي في المبحثين الأول والثاني؛ باعتباره المنهج المناسب للتعريف بمصطلحات البحث، وترجمة الشيخ والتعريف بكتاب الفتح الرباني، والمنهج الاستقرائي التحليلي في المبحث الثالث في استقراء المضامين والثمرات التربوية للإيمان بالله والإيمان بالقضاء والقدر من كتاب الفتح الرّباني، وتحليلها.

8– صعوبات البحث: وكأيّ بحث علميّ فقد واجهت بعض الصعوبات أثناء إنجاز بحثي منها: تشعّب الموضوع وتوسّعه، ما اضطرّني إلى حصره في باب الإلهيات فحسب، بحكم ارتباطنا بمدّة تسليم المذكرات.

9– منهجية البحث: أما منهجية عملي فهذه بعض خطواتها:

– عزوتُ الآيات القرآنية إلى مواضعها في السور، وذلك بذكر السورة ورقم الآية في المتن، وتوضيح وجه الدلالة ما أمكَن، بالاعتماد على مصحف ورش عن نافع رحمهما الله، بالرسم العثماني على طريقة المغاربة، والذين يجعلون للفاء نقطة من الأسفل، وللقاف نقطة في الأعلى، والنون المتطرفة لا نقطة لها.

– خرّجتُ الأحاديث النبوية بِذكر سندها كاملًا، مع إحالتها إلى مصادرها الأصلية في الهامش.

– وثّقتُ المصادر والمراجع في الحواشي؛ وذلك بذكر اسم الكاتب ثم اسم الكتاب، ثم الطبعة ومعلومات الطبع، ثم الجزء والصفحة.

– قمتُ بترجمة بعض شيوخ الشيخ عبد القادر الجيلاني وبعض تلاميذه في الهامش.

– التزمتُ بتمهيد وخلاصة لكلّ مبحث.

- اعتمدتُ في التعريف بكتاب "الفتح الرباني" على المنهجية التي وضَعتْها إدراةُ تخصّص العقيدة لتلخيص الكتاب في السنة الثالثة ليسانس عقيدة ومقارنة أديان.
- ذيّلتُ بحثي بفهارس عامّة مرتّبة على النحو التالي:
- فهرس الآيات الكريمة: مرتّبة حسب ورودها في المصحف.
- فهرس الأحاديث النبوية: مرتّبة ألْفبائيّا.
- فهرس الأعلام المُتَرجم لهم: واكتفيتُ فيه بالأعلام الذين ترجمتُ لهم فقط، ورتّبتهم ألفبائيّا.
- قائمة المصادر والمراجع: مرتّبة ترتيبًا ألفبائيّا.
- فهرس الموضوعات: مرتّبة حسب ورودها في البحث.

10- خطة البحث: وللإجابة عن الإشكالية المطروحة وضعتُ الخطة التالية:

التي شملت مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: احتوت على تعريف عامّ بالموضوع وأهمّيته، وإشكالية البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وأسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، وصعوباته، وخطة البحث.

المبحث الأول: هو مدخل مفاهيمي شمل مطلبين؛ المطلب الأول في مفهوم التربية والمضمون التربوي، والمطلب الثاني: في مفهوم العقيدة والدرس العقدي.

أما المبحث الثاني فجعلتُه للتعريف بالشيخ عبد القادر وكتابه الفتح الرباني والفيض الرحماني في مطلبين كذلك، فاحتوى المطلب الأول على ترجمة الشيخ من نسبه ومولده ونشوئه، ثم رحلاته العلمية وشيوخه وتلاميذه ووفاته وآثاره، أما المطلب الثاني فقد عرّفت فيه بكتاب الفتح الرباني بعرضٍ خارجي شكليّ وعرضٍ داخلي موضوعيّ له.

أما عن المبحث الثالث فتناولت فيه الثمراتِ التربويةَ للدّرس العقدي في باب الإلهيات، وذلك في مطلبين: فكان المطلب الأول للثمرات التربوية للإيمان بالله تعالى على مستوى النفس والمجتمع؛ وقسّمتُه إلى فروع شملت الإيمان بوجود الله وأثره التربويّ، والإيمان بالأسماء والصفات وأثره التربوي، والإيمان بالإرادة الإلهية كمدخل لمطلب الإيمان بالقضاء والقدَر، الذي تناولته في المطلب الثاني من هذا المبحث، وذكرتُ ثمراته التربوية على مستوى النفس والمجتمع كذلك.

وخاتمة البحث شملت أهمّ النتائج المستخلصة من البحث إجابةً عن الإشكالية المطروحة.

ورقلة في: 21 شوال 1444هـ

الموافق لـ: 11 ماي 2023.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

المطلب الأول: مفهوم التربية.

المطلب الثاني: مفهوم العقيدة.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.

تُعتبَر عملية ضبط مفاهيم المصطلحات ومدلولات الألفاظ في أيّ بحث خطوةً منهجيّة أساسيّة، تقتضيها طبيعة أيّ عمل فكريّ ومعرفيّ؛ إذْ بدونها يفقد البحث معيارًا مُهمّا في ضبط المسائل المتناولة فيه وإثبات حقائقها.

وبما أن عنوان بحثي مركّب من عدّة مصطلحات، فمن الضروريّ أن أعرّف كُلّاً منها على حدًى لِيسهل علينا فهم الموضوع؛ فسأعرّف التربيةَ والمضمونَ التربويّ، والعقيدةَ والدرسَ العقديّ في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: مفهوم التربية.

وسأعرّف في هذا المطلب التربيةَ في اللغة والاصطلاح، وأذكر تعريفًا إجرائيًّا للمضمون التربويّ.

الفرع الأول: تعريف التربية لغة:

مصدر الفعل (ربّى)، وجاء في معجم مقاييس اللغة أن: "الراء والباء يدلّ على أصول:

فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرّبّ: المصلِح للشيء، يُقال: رَبَّ فلانٌ ضيعَتَه إذا قام على إصلاحها.

ورَبَبتُ الصبيَّ أرُبُّه، وأربَبْتُه أرَبّبُه: ربّيتُه: أصلحته.

والثاني: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول. يُقال: أربَّت السحابة بهذه البلدة، إذا دامت".[1]

فالتربية القيام على شؤون المتربّي أو الصبيّ حتى يصبح فردًا صالحا في أسرته ومجتمعه.

كما جاء في لسان العرب:

"ورابَأَ الشيءَ: راقبه.

ورابَأْتُ الشيء: حذِرتُه واتّقيتُه.

ورَبَبْتُ القومَ: سُسْتُهم؛ أي كنتُ فوقهم.

1- أبو الحسين أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دم، 1399هـ- 1979م، ج2/ ص381، 382.

ورَبَّ ولدَه، والصبيّ يَرُبُّه رَبّا، ورَبّبَه تربية: بمعنى رَبّاه، وأحسن القيام عليه، ووَلِيَه حتى يفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن".[1]

وقال ابن الأعرابي: الرّباني من الرّبّ، بمعنى التربية؛ إذ كانوا يربّون المتعلمين بصغار العلوم، قبل كبارها.

ورَبَّ المعروف والصنيعة والنعمة يَرُبّها... وربَّبها: نمّاها، وزادها، وأتمّها، وأصلحها".[2]

فنستنتج من خلال هذه الاشتقاقات اللغوية أن معنى التربيةِ اللغويّ يدور حول ثلاثة معانٍ أساسية:

المعنى الأول: القيامُ على شؤون المتربّي وإصلاحه.

المعنى الثاني: مراقبةُ سلوكاتِه وتصرّفاتِه وتقويمُها، وتحذيرُه من الوقوع في الخطأ والرذيلة.

المعنى الثالث: تنميةُ مهاراته من أجل الوصول به إلى الكمال.

الفرع الثاني: تعريف التربية اصطلاحًا:

جاء في المعجم الفلسفي أن التربية في الفرنسية Education وفي الإنجليزية Education culture,.

والتربية تُطلَق على عدّة اصطلاحات (وهي مرتبطة بالمعاني اللغوية) منها:

-"هي تبليغ الشيء إلى كماله.

- أو هي كما يقول المُحدَثون تنميةُ الوظائف النفسيّة بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، تقول: ربّيتُ الولد إذا قويت ملَكاته، ونمّيته قدراته وهذّبت سلوكه حتى يصبح صالحًا للحياة في بيئة معيّنة، وتقول: تربّى الرجل إذا أحكمته التجارب، ونشّأ نفسه بنفسه.

ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمّي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادرًا على مؤالفة الطبيعة، يجاوز ذاته ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس".[3]

1- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، مُحَمَّد أحمد حسب الله، هاشم مُحَمَّد الشاذلي، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، باب الراء، ص1546، 1547.

2- ابن منظور، المرجع نفسه، ص1549.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ج1/ ص266.

وفي موسوعة لالاند الفلسفية: "التربية هي مسار يقوم على تطوّر وظيفة أو عدّة وظائف، تطوّرا تدريجيّا بالدّربة وعلى تجويدها وإتقانها.

أو هي سلسلة عملية إجرائية يدرّب عليها الراشدون (الأهل عموما) الصغارَ من جنسهم ويشجّعون لديهم نموّ بعض النزعات والعادات".[1]

كما تُعتَبر التربية عند مالك بن نبي: "عملية تثقيف متواصلة، تشمل تلك العملية النفسية التي تقوم في أوْلى مهامها بتركيب عناصر ثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد؛ أي في بنية إنسان ما بعد الحضارة".[2]

حيث أن مالك بن نبي "يُعِدّ التربيةَ قضيةً من أهمّ قضايا المجتمع المعاصر حضورًا وخطورَة، لأنها تهتمّ بتكوين الإنسان وبناء المجتمع، والشرط الضروري لكل تقدم، وهي ليست فنًّا للتعليم في مرحلة الطفولة، وليس مجرد تكوين مهارات ذاتية وعلمية ومهنية قادرة على المشاركة الجادّة في مسيرة التقدّم، بل هي أداة فعّالة لتصحيح مسار الإنسان في رحلته الطويلة عبر الأجيال المتلاحقة، وتتعدى إلى إعادة صياغته كرُكن ركين في البناء الاجتماعي".[3]

كما يُعرّف الدكتور لطفي بركات التربيةَ في معناها العام: "هي الجهود التي يبذلها الإنسان قصدًا لإحداث تغييرات مرغوب فيها في البيئة المادية والاجتماعية".[4]

ويجدر بي في هذا المقام أن أتطرّق إلى مفهوم التربية عند الصوفية؛ بحكم ارتباط موضوعي بالشيخ عبد القادر الجيلاني.

أمّا التربية عند الصوفية فتستمدّ مفهومها من جوهر الإسلام نفسه وتنهل من مَعين النبوة؛ فتقوم على تزكية النفس بتخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل، لذا نجد بعض أعلام التصوف

1- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت- باريس، 2001، ج1/ ص322، 323.

2- نقلا عن: العابد ميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع التربية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013-2014م، ص197.

3- العابد ميهوب، المرجع نفسه، ص 196.

4- لطفي بركات أحمد، في الفكر التربوي الإسلامي، ط1، دار المرين، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1402هـ- 1982م، ص47.

الذين تناولوها (أمثال الإمام أبي حامد الغزالي، وابن مسكويه، وعبد الله دراز وغيرهم) تحدّثوا عن التربية على أنها تزكية الأنفس والتحلّي بمكارم الأخلاق، واستدلوا عليها بأدلة من القرآن والسنّة، منها قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 9-10] وحثّ النبي –ﷺ– على تحسين الأخلاق وتهذيبها.

ويذكر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني أن: "التربية الإسلامية منذ أول ظهور الإسلام جمعت بين تأديب النفس، وتصفية الروح، وتثقيف العقل، وتقوية الجسم؛ فهي تُعنى بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية".[1]

فنجد أن التربية عند الصوفية تُعنى بالروح والخُلق والبدن والعقل، ويتجسد ذلك في المقامات والأحوال الصوفية (كالإخلاص والتوكّل، والتوبة والتجرّد، والمحاسبة والمراقبة...)

خلاصة التعاريف:

نلاحظ أنّ تعاريفَ التربية جميعَها ركّزت على الحرص على تنمية مهارات المتربّي ومتابعتها –في عملية التربية– حتى يصبح فعّالًا في المجتمع، وقد تميّز تعريف جميل صليبا بأنْ شمَل شروط التربية الصحيحة؛ المتمثّلة في تنمية شخصية المتربّي من شتّى النواحي (الجسمية، العقلية والنفسية والخُلقية)، وتعريف الدكتور لطفي بركات بأنْ تحدّث عن مقصد التربية وهو تحقيق التغيير في البيئة المادية والاجتماعية، كما تميّز تعريف مالك بن نبي –الذي نلتمس فيه فِكرَه النهضوي– باعتباره التربيةَ وسيلةً من وسائل بناء المجتمع ونهضته.

بينما تميّز مفهوم التربية عند الصوفية باعتبارها تنشئة الروح والانتقال بها من حالٍ إلى حال أكثر تزكيةً وتطهيرًا وتهذيبًا، وذلك بتخليتها من الرّذائل الخُلقية وتحليتها بالفضائل.

1– أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ص9

الفرع الثالث: تعريف المضمون التربوي:

المضمون في الفرنسية contenu وفي الإنجليزية content، ومضمون الشيء محتواه، ومضمون الكتاب:

مادّته، ومضمون الكلام: فحواه وما يُفهَم منه. ولكلّ عملية فكرية صورة ومضمون.[1]

تعريف إجرائي للمضمون التربوي: هو المحتوى الذي تدور حوله التربية ومادتها، والذي بواسطته تحقّق التربيةُ ماهيتَها وأهدافَها.

وسأجتهد في وضعِ تعاريفَ للمضمون التربويّ للعقيدة، من حيث ربطُه بالإشكالية التي أردتُ بحثَها في رسالتي هذه:

- فالمضمون التربوي للدرس العقدي هو الحُمولة القيمية والأخلاقية للعقيدة الإسلامية.
- وهو الدّرس التربويّ المتوخّى من مباحث العقيدة.
- وهو الجانب العمليّ والسلوكي للإيمان بالله –عز وجل–، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. أو الثمرات التربويّة لأركان العقيدة الإسلامية، والتي سأتناولها في المباحث القادمة –بإذن الله– في باب الإلهيات، على مستوى النفس والمجتمع.

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ج1/ ص386.

المطلب الثاني: مفهوم العقيدة.

وسأتناول في هذا المطلب تعريفَ العقيدة في اللغة والاصطلاح، وأذكر تعريفًا إجرائيًّا للدّرس العقديّ.

الفرع الأول: تعريف العقيدة لغة.

العقيدة من الفعل (عقد)، وجاء في لسان العرب أن "العقد: نقيض الحَلِّ، عقَدَه، يعقِدُه عقدًا... واعتقَده كعَقَدهُ، ويُقال: عقدتُ الحبلَ، فهو معقود، وكذلك العهدَ، ومنه عُقدة النكاح.

وعَقَد العهدَ واليمين يعقِدُهما عَقدًا: أكّدَهما، كقوله تعالى: ﴿وَالذِينَ عَـٰقَدَتَ اَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء:33]. معناه التوكيد والتغليظ. والعَقدُ: العهدُ، والمعاقدةُ: المعاهدة، وعاقَدهُ: عاهَده، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:01] قيل: هي العهود، وقيل هي الفرائض التي أُلزِموها.

وعَقَد قلبُهُ على الشيء: لزِمَه...قال الفارسيّ: هو من الشدّ والرّبط، واعتَقدَ الشيءُ: صلُبَ واشتدّ".[1]

كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة:

"عقد العزمَ أو النيّة: عَزَم ونوى وقَصَد، وعقد العهد أو اليمين: أكّده وأحكَمَه، عقَّدَ الحبلَ: بالغ في عَقده؛ أي في ربطه وشدّه حتى غلُظ.

ومنه اعتقدَ اعتقادًا، والاعتقادُ: اطمئنانُ القلوب على شيء ما يجوز أن ينحلّ عنه، أو هو تصديق قاطع بشيء يؤمن به مجموعة من الأشخاص. ومنه عقيدة: وهي حكم لا يقبل الشك لدى صاحبه".[2]

1- ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، باب العين، ص3030، 3031، 3032.

2- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1429هـ-2008م، ج1/ ص 1526، 1527، ص1528.

فمدارُ المعنى اللغوي للعقيدة على:

الربط والشد، والوثوق والتوكيد والتغليظ، والقصد؛ فتُطلَق العقيدة على الأمر الذي يعتقده الإنسان، ويربط قلبَه عليه، فيصير عنده حكمًا لا يقبل الشك.

الفرع الثاني: تعريف العقيدة اصطلاحًا:

وقد أُخِذ المعنى الاصطلاحي للعقيدة من معناها اللغوي، فجاء في المعجم الفلسفي: "العقيدة في الفرنسية Dogme وفي الإنجليزية Dogma، وهي الحكم الذي لا يقبل الشكّ فيه لدى معتقِده، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد، والعقيدة أيضا الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد، وتُطلَق في الدين على ما يؤمن به الإنسان ويعتقده كوجود الله وبعثة الرسل..."[1]

ويعرّفها **الإمام حسن البنا –رحمه الله–** بصيغة الجمع:

"العقائد هي الأمور التي يجب أن يصدّق بها قلبُك، وتطمئنّ إليها نفسُك، وتكون يقينا عندك لا يُمازجه ريب، ولا يُخالِطه شكّ".[2] ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات:15].

فهي إذًا اعتقاد جازم مطابق للواقع لا يقبل شكًّا ولا ظنًّا، فما لم يصِل العلم بالشيء إلى درجة اليقين الجازم لا يسمّى عقيدة.[3]

والعقيدة الإسلامية كثيرا ما يعبّر عنها العلماء بالإيمان، الذي تناوله حديث جبريل لأركان الدين.

فيُقِرّ **عبد الله الأثري** أن "الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو التصديق الجازم والإقرار الكامل، والاعتراف التامّ بوجود الله تعالى وبربوبيّته وألوهيّته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانًا تُرى آثارُه في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وأنّ محمّدا بن عبد الله –ﷺ– رسولُ الله وخاتم النبيّين، وقبول جميع ما أخبرَ به –صلى

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ج1/ ص92.

2- حسن البنا، رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دط، دت، دم، ص290.

3- عثمان بن جمعة ضميرية، أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، ط1، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، 1461هـ- 2000م، ص24.

الله عليه وسلم- عن ربّه –جل وعلا- وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية والأحكام الشرعية وبجميع مفردات الدين... وإظهار الخضوع والطمأنينة لكلّ ذلك".[1]

كما يقول **الشيخ الطاهر الجزائري** في الجواهر الكلامية مُجيبًا عن سؤال ما معنى العقيدة الإسلامية:

"العقيدة الإسلامية هي الأمور التي يعتقدُها أهل الإسلام؛ أي يجزمون بصحّتها...أساسها الإيمان بالله تعالى والإيمان بملائكته وكتبه ورسُله واليوم الآخر والإيمان بالقدر".[2]

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ ٱلسَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَالصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:177].

وقد جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية الكريمة: "إنَّ اللَّه تعالى لَمَّا أَمَرَ المؤمنين أولا بالتَّوَجُّه إلى بيت الْمَقدس ثم حَوَّلهم إلى الكعبة، شَقَّ ذلك على نفوسِ طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل اللَّه تعالى بيان حكمته فِي ذلك وهو أن المراد إنّمَا هو طاعة اللَّه عزَّ وجلَّ، وامتثال أوامره، والتَّوجُّه حيثما وَجَّه واتِّبَاع ما شرع، فهذا هو البِرّ والتَّقوى والإيمان الكامل... وقال الضَّحَّاك: ولكن البِرَّ والتَّقوى أن تؤدّوا الفرائض على وجوهها وقال الثَّوري: ولكن البِرّ من آمن باللَّه الآية قال: هذه أنواع البِرّ كلها، وصدق رحمه اللَّه، فإن من اتَّصف بهذه الآية فقد دخل في عُرَى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله، وهو الإيمان بالله وأنه لا إله إلَّا هو، وصدَّق بوجود الملائكة الذين هم سفَرة بيْن اللَّه ورُسُله، والكتاب (وهو اسم جِنس يشمل الكتب المنَزَّلة من السماء على الأنبياء، حتّى خُتِمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله

1- عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقتُه- خوارمُه- نواقضه عند أهل السنة والجماعة، تقديم: عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط1، مدار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1424هـ- 2003م، ص25.

2- عبد العزيز عز الدين السيروان، الإيمان أركانه- دلائله- ثمراته شرح الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية للشيخ الطاهر الجزائري، ط2، مكتبة الأنوار، دمشق، سوريا، 1412هـ- 1991م، ص42.

من الكتب الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله، وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمَّد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين".[1]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49]. يقول ابن كثير: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان:2]، وكقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣﴾ [الْأَعْلَى: 1-3]؛ أيْ قدَّر قدرًا وهدى الخلائق إليه، ولهذا يستدِلُّ بهذه الآية الكريمة أئمَّة السّنَّة على إثبات قدر الله السابق لخَلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكِتابته لها قبل بُرْئِهَا".[2] وبالتالي هي دليل على وجوب الإيمان بقدر الله خيره وشرّه.

خلاصة التعاريف:

نستنتج من التعاريف السابقة للعقيدة أنها الأحكام والأمور التي لا تقبل الشك و التي تُصدَّق تصديقًا جازمًا، وتتمثّل في الإيمان بوجود الله ووجود ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه.

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: مُحَمَّد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، بيروت، لبنان، 1419هـ، ج1/ ص355.

2- إسماعيل بن كثير ، المرجع نفسه، ج7/ ص446.

الفرع الثالث: تعريف الدرس العقدي:

بحكم أن مصطلحَ (الدرس العقدي) مُستجَدّ، لذلك لم يُضبَط تعريفه الدقيق بعد، وسأجتهد في وضع تعريف إجرائي له.

التعريف الإجرائي للدرس العقدي:

هو جملة الخبرات التي دوّنها علماء الكلام قديمًا وحديثا فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد.

أما تعريفه الذي يتلاءم و موضوعَ بحثي، فهو عرض العقيدة –بمباحثها الكبرى: الإلهيات، النبوات، السمعيات– بأسلوب جديد يتناغم مع متطلبات العصر والتحديات الراهنة. وستختصّ دراستي بالإلهيات أنموذجًا.

أو هو توظيف المسائل العقدية بما يتوافق وروحَ العصر.

وقد تعمّدت ذكر هذا التعريف حتى يتناغم مع إشكالية البحث وموضوعه الرئيسي (المضمون التربوي للدرس العقدي)؛ أي عرض مسائل العقيدة بأسلوب يخرجها من مسالك الجدل والنظر إلى واقع العمل، وتوظيف ذلك كله في بناء شخصية مسلمة معاصرة تواجه التحديات، مرتكزةً في ذلك على الحقائق الإيمانية.

وبما أن دراستي اقتصرَت الدرسَ العقديّ على الإلهيات فحسب، فلا بدّ من توضيح مدلولها.

الإلهيات: هي إحدى المباحث الكبرى للعقيدة، التي تختصّ بدراسة المسائل المتعلّقة بالذات الإلهية؛ فتشمل الإيمان بوجود الله، والأسماء والصفات، والإرادة الإلهية، والقضاء والقَدر.

خلاصة المبحث الأول:

هذه كانت محطّات المبحث المفاهيميّ؛ الذي جعلتُه لتعريف المصطلحات الأساسية لموضوعي وضبط مدلولاتها؛ فعرّفتُ بدايةً التربيةَ التي تُعتبر عمليةَ تنميةِ شخصية المتربّي ومهاراته لتحقيق التغيير والفاعلية، والمضمونَ التربويّ وهو الجانب السلوكي والثمرات التربوية المَرجُوَّة من العقيدة الإسلامية، ثم تناولتُ تعريف العقيدةِ وهي الأحكام التي لا تقبل الشك والمتمثّلة في أركان الإيمان السِّتّ، والدرسِ العقديّ الذي يسعى إلى توظيف مسائل العقيدة ومباحثها بأسلوب مُعاصِر يواكب روح العصر.

المبحث الثاني: الشيخ عبد القادر الجيلاني وكتابه الفتح الرباني والفيض الرحماني

المطلب الأول: ترجمة الشيخ عبد القادر.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني.

المبحث الثاني: الشيخ عبد القادر الجيلاني وكتابه الفتح الرباني والفيض الرحماني.

يُعَدّ الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمامُ الصالحُ، المربّي المصلِح من بين أهمّ العلماءِ الربانيّين الذين حفِظَ اللهُ بهم الدينَ؛ فقد أجرى المولى –تبارك وتعالى– على يديه خيرًا كثيرًا ونِتاجًا مباركا غزيرا.

وكتابه "الفتح الربّاني والفيض الرحماني" من أهمِّ وأشهرِ آثاره التي يحتاج إليها كل داعية وواعظ، بل كل إنسان يسعى إلى السير إلى الله والقرب منه؛ لِما فيه من التوجيهات والإرشادات العظيمة.

المطلب الأول: ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني.

الشيخ عبد القادر الجيلي أو الجيلاني، إمامٌ صوفي تنتسب إليه الطريقة القادرية التي كانت مشربًا لجميع الطرق الصوفية التي أتت بعدها، كان على المذهب الفقهي الحنبلي، لُقّب بعدّة ألقاب منها: الباز الأشهب، وتاج العارفين...

الفرع الأول: نسبه ومولده:

أولًا: نسبه:

يذكر الدكتور عبد الرزاق الكيلاني في كتابه "الشيخ عبد القادر الإمام الزاهد القدوة" أن: "هناك اختلافا يسيرا بين المترجمين حول نسب الشيخ عبد القادر –رضي الله عنه–، فبعضهم ينهي نسبه إلى الحسن بن علي –رضي الله عنهما–، وبعضهم الآخر وهم الأقل ينهي نسبه إلى الحسين بن علي –رضي الله عنهما–، وعلى كل حال فإن نسبه ينتهي إلى سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء –رضي الله عنهما–".[1]

فيُعدّدُ مجملَ المؤلفين الذين ذكروا نسب الشيخ عبد القادر، منهم الأستاذ مُحَمَّد العيني ذكر في كتابه "عبد القادر الكيلاني": "هو أبو مُحَمَّد عبد القادر بن أبي صالح جنكي دوست موسى بن

1– عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، ط1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1414هـ– 1994م، ص88.

أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن مُحَمَّد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب –ﷺ وكرم الله وجهه–، وأمه فاطمة أم الخير بنت عبد الله الصومعي، ويذكر الشيخ عبد القادر في كتابه فتوح الغيب أن نسب أمه ينتهي إلى الحسين بن علي –رضي الله عنهما–".[1]

ثانيًا: مولده:

اختلف المؤرّخون القدماء والمحدَثون في تاريخ مولد الشيخ عبد القادر الجيلاني، فذهب أكثرهم إلى أنه وُلِد في سنة 470هـ أو 471هـ، فيذكر ابن حجر العسقلاني: "وقد وقعت لنا الرواية عنه بعلوّ ذِكر مولده قال ابن النجّار وُلِد سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وقال غيرُه ممّن ذكرنا من المؤرّخين وُلِد سنة سبعين أو في التي بعدها، وسُئِل الشيخ عن مولده فقال: لا أعلم حقيقَته لكني قدِمت بغداد وأنا ابن ثمانية عشر سنة في السنة التي مات فيها التميمي".[2]

وقال بعضهم أنه وُلِد في سنة 491 هـ بجيلان، منهم مُحَمَّد بن شاكر الكتبي صاحب كتاب "فوات الوفيات"[3].

الفرع الثاني: نشوؤُه:

"يبدو أن الشيخ عبد القادر –رحمه الله تعالى– كان آخِر أولاد أبويه، لأنه عاش يتيمًا، فقد توفّي أبوه بعد ولادته بقليل لذلك عاش في كنف جدّه لأمه السيد عبد الله الصومعي، فكان يُنسَب إليه عندما كان في جيلان فيُقال ابن الصومعي، وكان آخر أولاد أمه لأنها حملت به قبيْل سن يأسها بقليل".[4]

وقد نشأ الشيخ عبد القادر في أسرة صالحة وبيئة معروفة بالعلم؛ فيذكر عبد الرزاق الكيلاني: "كانت أمه صالحة تقيّة سليلة أئمة أطهار أبرار، وكان جدّه عبد الله الصومعي زاهدًا عابدًا حتى لقّبوه بالصومعي، وكان أبوه صالحًا فنالَته بركة صلاح أبيه، وتربّى في كنف أمه التقيّة وجدّه الزاهد العابد، فربّاه على التّقوى والصلاح ومكارم الأخلاق، فنشأ عابدًا صالحًا تقيًّا، زاهدًا في

1– عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، المرجع السابق، ص 90.

2– ابن حجر العسقلاني، غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، دط، كلكته، 1903م، ص2.

3– ابن الملقّن، طبقات الأولياء، دط، دم، دت، هامش ص 246.

4– عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، المرجع السابق، ص92.

الدنيا، مقبِلًا على الأخرى، طموحًا إلى معرفة أصول الشريعة وفروعها، ومداخلها ومخارجها. ولم يكن في بلاد جيلان ما يُرضِي طُموحَه ويُروي ظَمأَه من علوم الشريعة، لذلك أخذت تُحدّثه نفسُه بالسفر إلى بغداد حاضرة الدنيا في ذلك الزمان".[1]

الفرع الثالث: حياته العلمية:

سأتحدّث في هذا الفرع عن حياة الشيخ عبد القادر الجيلاني العلمية؛ من خلال سردِ رحلاتِه في طلب العلم ولقائِه بالعلماء، وبعضِ شيوخه الذين درس عندهم، وبعض تلاميذه.

أولًا: رحلاته:

1- من مدينته جيلان إلى بغداد:

لقد ازدادت رغبة الشيخ في الذهاب إلى بغداد لطلب العلم الشرعي إلى أن قرّر يومًا السفر، يقول –رحمه الله-: "فجئت إلى أمي فقلتُ لها هِبيني لله لأني أرى المسير إلى بغداد لأشتغل بالعلم وأزور الصالحين، فسألتني عن سبب ذلك فأخبرتها بما جرى فبكتْ وخيّطت في دلقي تحت إبطي أربعين دينارًا، وأذنت لي في المشي وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي...فسرت مع قافلة صغيرة تطلب بغداد".[2]

وقد حدثت معه في رحلتِه هذه حادثةٌ مؤثّرة دُوِّنَت في تاريخِه المَليءِ بالنِّتاجِ المبارك، فيحكي الشيخ عبد القادر: "فلما تجاوزنا همذان وكنا بأرضٍ فلاة خرج علينا ستون فارسًا فأخذوا القافلة ولم يتعرّض لي أحد، وكلّما مرّ بي واحد منهم قال لي: يا فقير ما معك؟ فقلت أربعين دينارًا، فقال أين هي؟ قلت مخيطة في دلقي تحت إبطي، وظن أني أستهزء به فتركني وانصرف، فمرّ بي واحد آخر فقال لي مثل الأول فأجبته بمثله فتركني وانصرف، فاجتمعا عند مقدمهم فأخبراه بما سمعاه مني فقال: عليّ به، فأُتِي بي إليه وإذا هم على تلّ يقتسمون أموال القافلة، فقال لي: ما معك؟ قلت أربعون دينارا، قال وأين هي؟ قلت مخيطة في دلقي تحت إبطي، فأمر بدلقي ففتح فوجدها فقال: ما حملك على هذا؟ قلت: أمي عاهدَتني على الصدق فأنا لا أخون عهدها، فبكى وقال: أنت لم تَخُن عهدَ أمّك وأنا لي اليوم كذا وكذا سنة أخون عهد ربي، فتاب على

1- عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، المرجع السابق، ص93.

2- ابن حجر العسقلاني، غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، المرجع السابق، ص5.

يدي فقال له أصحابه أنت كنت مقدّمنا في قطع الطريق فأنت الآن مقدمنا في التوبة، فتابوا كلهم على يدي وردّوا للقافلة ما أخذوا منهم، فهم أول من تاب على يدي".[1]
فقد جعل اللهُ الفتحَ على يديْه وهو في بداية طريقه إلى الله.

"دخل الشيخ عبد القادر –رحمه الله تعالى– بغداد ذلك الخضم الهائل من البشر، وهو في سنّ الثامنة عشرة، فتًى غريرًا لم يعتد على هذا النوع من الحياة، ولا يعرف أحدا في بغداد ولا يملك من حطام الدنيا سوى أربعين دينارًا، وماذا تفعل أربعون دينارًا في بغداد، ولكنه كان يملك عقيدة متمكّنة من قلبه وروحه وأخلاقًا مستقيمة، وهدفًا وضعه لنفسه حينما غادر جيلان، وهو أن يصبح عالِمًا عاملًا مخلِصًا ويملك عزمًا ثابتًا على أن يبلغ الهدف".[2]

وقد واجه الشيخ صعوباتٍ شتّى في رحلته هذه بصبرٍ واحتساب، يقول –رحمه الله–: "أقمتُ مرّة في ببغداد في بدء أمري عشرين يومًا ما أجد ما أقتات به ولا أجد مباحًا، وقد كانت أمه تبعث له ما يقتات به وتكتب له لتطمئنّ على حاله، وتشجّعه على الاشتغال بالعلم، فيقول: كنت أشتغل بالفقه على المشايخ وأخرج إلى الصحراء فلا أرى بغداد، وأجلس في الخراب وألبس جبة من صوف وعلى رأسي خريقة، وكنتُ أمشي وأنا حافٍ وأنا ماشٍ في الشوك وغيره وما هالَني شيء... وكنتُ أقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخسّ من جانب النهر والشطّ، وكان حتى إذا طالبَتْه نفسُه بشهوة يُقاومها ويصبر".[3]

1- ابن حجر العسقلاني، غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، المرجع السابق، ص5، 6.
2- عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، المرجع السابق، ص107.
3- ابن حجر العسقلاني، غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، المرجع السابق، ص6، 7، 8، بتصرف يسير.

2- من بغداد إلى بعقوبة:

وبعد رحلة بغداد ارتحل الشيخ إلى بعقوبة فكانت سفرته الثانية في حياته بقصد الكسب، وقد وصفها بقوله:" كان جماعة من أهل بغداد يشتغلون بالفقه فإذا كان أيام الغلة يخرجون إلى الريف يطلبون شيئا من الغلة فقالوا لي يوما اخرج معنا إلى بعقوبة نحصل منها شيئا... فخرجتُ معهم، وكان في بعقوبة رجل صالح يقال له" الشريف البعقوبي"[1] فمضيت لأزوره فقال لي: مريدو الحق والصالحون لا يسألون الناس شيئا، ونهاني أن أسأل الناس، فما خرجت إلى موضع قط بعد ذلك، وكان لهذه السفرة وقع بليغ في نفس الشيخ عبد القادر، حيث تركت فيه أثرا عميقًا وعلّمته درسًا بليغا نافعًا، ويظهر من امتناع الجيلي عن السؤال قوة الإرادة الصادقة في الامتثال لقبول النصيحة، كما يظهر استعداده للطاعة عند صدور الأمر الصالح".[2]

3- من بغداد إلى الديار المقدسة:

يُشير الدكتور فالح الكيلاني أن "المصادر والمراجع تؤكّد أنها سفرتان لا واحدة، وكانت بقصد أداء فريضة الحج، وقد كانت الحجة الأولى سنة 119 هـ، وفيها التقى الشيخ عدي بن مسافر، وأما الحجة الثانية فكانت سنة 111 هـ، وفيها التقى بعدة شيوخ من أبرزهم الشيخ أبي مدين شعيب وغيره من الأعلام، وكانت برفقته والدته، وقال عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر: "لم يحجّ والدي- رضي الله عنه- بعد أن اشتهر أمرُه إلا حَجّة واحدة وكنت فيها قائد زمام راحلته، ولم يُعرف للشيخ عبد القادر غير هذه السفرات، وبعدها انقطع للتدريس والوعظ والإرشاد".[3]

1- الشريف البعقوبي: أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن عرفة البعقوبي الشافعي الأشعري، من أعلام التصوف العراقي وأعلام مدينة بعقوبة في العصر العباسي الثاني ومن جملة مشايخ الشيخ عبد القادر الجيلاني، الواسطي، تذكرة المقتفين لآثار أولي الصفا وتبصرة المقتدين، ص240، مخطوطة مصطفى جواد، لدى ولده جواد مصطفى جواد. أنظر: جمال الدين فالح الكيلاني، جغرافية الباز الأشهب قراءة ثانية في سيرة الشيخ عبد القادر الكيلاني وتحقيق محل ولادته وفق منهج البحث العلمي "دراسة تاريخية عربي- آوردو"، تقديم عماد عبد السلام رؤوف، ط5، دار الإسلام، لاهور، 2019م، هامش ص32.

2- جمال الدين فالح الكيلاني، جغرافية الباز الأشهب، المرجع نفسه، ص32.

3- جمال الدين فالح الكيلاني، جغرافية الباز الأشهب، المرجع نفسه، ص32، 33.

واستمرّ هذا الدرس والتحصيل حتى برع في الأصول والفروع وأنواع الخلاف وعلوم القرآن والبلاغة والأدب، وانصبّ أكثر اهتمامه على دراسة المذهب الحنبلي ثم درس معه المذهب الشافعي أيضا. ودام هذا الدرس والتحصيل ثلاثًا وثلاثين سنة، ولكنه لم يكن متّصِلًا بل منقطعًا على حسب الظروف والأحوال.[1]

وبهذا تكون هذه الرحلات قد ساهمت في تكوين شخصية الشيخ عبد القادر، بما حملته من معاناة وعراقيلَ وتحدّيات صعبة عاشها –رحمه الله–، إضافة إلى لقائه بالعلماء وحضوره مجالس العلم، ليصبحَ فيما بعد مربّيًا ومعلّمًا حفظ التاريخُ أثرَه الكبير في خدمة الإسلام.

ثانيًا: شيوخه:

"علم الشيخ –رحمه الله تعالى– أن طلب العلم فريضة على كل مسلم، فشمّر على ساعد الجدّ والتحصيل وسارع في طلبه، قاصِدًا أعلامَ الهدى من علماء هذه الأمة، فابتدأ حياتَه بقراءة القرآن العظيم حتى أتقنه؛ إذ درسه على يد أبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي[2] وأبي الخطّاب محفوظ الكَلْوذاني الحنبلي[3] وغيرهم كثير. وسمع الحديث النبويّ الشّريف على أيدي كثير من مشاهير عصره من الحفّاظ، كأبي غالب محمّد بن الحسن الباقلّاني وغيره".[4]

1- عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، المرجع السابق، ص109.

2- أبو الوفاء عليّ بن عقيل بن محمَّد بن عقيل بن عبد الله البغداديّ: الظَّفَرِيّ الحَنْبَلِيّ، المتَكَلِّم، صاحب التَّصَانيف، كان يسكن الظَّفَرية، ومسجده بِها مشهور، وُلِد سنة إحدى وثلاثين وأربع مائة، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، من أكبر تصانيفه "الفنون"، توفي سنة 510هـ. أُنظر: شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، تقديم: بشار عواد معروف، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ، 1985م، ج19/ ص443، 444، 445.

3- محفوظ بن أحمد بن الحسن: أبو الخَطَّاب الكَلْوَذَاني الحَنْبلي، ولد في شوال سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، وتفقَّه على القاضي أبي يعلى بن الفراء، وسَمِعَ الحديث وحدَّث، وأفتى ودَرَّسَ، وصنف" الهداية "وغيرها، وشَهِدَ عند قاضي القضاة أبي عبد الله الدَّامَغَاني، توفي السنة العاشرة وخمس مئة. أُنظر: سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: ، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، 1434هـ - 2013م، ج20/ ص99، 100.

4- عبد القادر الجيلاني، رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله، تح: مُحَمَّد غسان نصوح عزقول، ط1، دار السنابل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1413هـ- 1992م، ص12، 13.

وقد تفقه الشيخ على مجموعة من الشيوخ والفقهاء من بينهم الشيخ أبو سعيد المخَرَّمي[1]، فبرع في المذهب والخلاف والأول... وقد أمضى الشيخ من عمره ثلاثين عاما يدرس فيها علوم الشريعة أصولها وفروعها.[2]

ويذكر ابن الجوزي في المنتظم: أن الشيخ عبد القادر" سمع الحديث من أبي بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار[3]، وأبي القاسم علي بن أحمد بن بيان الرزاز، وأبي طالب بن يوسف، وتفقه على أبي سعد المخرمي".[4]

كما "تعلّم الأدب واللّغة على يد أبي زكرياء يحيى بن عليّ التّبريزيّ[5]، وصاحب حمّاد الدّباس[6] وأخذ عنه علم الطريقة"[1].

1- المخَرِّمي أبو سعد المبارك بن عليٍّ: البغدادي، شيخ الحنابلة، تفقَّه بالقاضي أبي يعلى، ثم بِأَبِي جعفر بن أبي موسَى، وغيره، بَنَى مدرسة بِبَاب الأَزَج، درَّس بعده بها تلميذه الشَّيخ عبد القادر وَكَبَّرهَا ، وكان نزيها عفيفا، ناب في القضاء، وحصَّل كُتُبا عظِيمة، مات: في محَرَّم سنة ثلاث عشرة وخمس مائة، وقد شاخ، أُنظر: شمس الدين الذهبي، سِير أعلام النبلاء، المرجع السابق، ج19/ ص428.

2- ابن الوردي، مخطوط خريدة العجائب وفريدة العجائب، نسخة سالم الألوسي، ص181. أُنظر: جمال الدين فالح الكيلاني، جغرافية الباز الأشهب، المرجع السابق، ص35.

3- أبو بكر، أحمد بن المظفَّر بن حسين بن عبد الله بن سوسن التَّمَّار: ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة، مات فِي صفر، سنة ثلاث وخَمس مائة، وله اثنتان وتسعون سنة. أُنظر: شمس الدين الذهبي، سِير أعلام النبلاء، المرجع السابق، ج19/ ص242.

4- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: مُحَمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412 هـ- 1992م، ج18/ ص173.

5- يحيى بن علي بن مُحَمَّد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي، أبو زكريا، أحد أئمة اللغة، كانت له معرفة حسنة بالنحو واللغة، قرأ على أبي العلاء وغيره، وتخرج به جماعة من أهل اللغة، توفي في جمادى الآخر سنة اثنتين وخمس مائة، وصلى عليه أبو طالب الزينبي، ودفن إلى جانب تربة أبي إسحاق الشيرازي بباب أبرز. أُنظر: ابن الجوزي، المرجع نفسه، ج17/ ص114، 115.

6 - حماد بن مسلم، الرحبي الدباس: شيخ الشيخ عبد القادر، سمع الحديث من أبي الفضل وغيره إلا أنه كان على طريقة طريقة التصوف، مات في رمضان سنة خمس وعشرون وخمس مائة ودفن بالشونيزية، أُنظر: ابن الجوزي، المرجع نفسه، ج17/ ص266.

ثالثًا: تلاميذه:

"لقد ألمّ الشيخ عبد القادر –رحمه الله– بعلوم الشريعة والطريقة واللغة والأدب، حتّى بلغ شأوًا بعيدًا، فكان إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، وأظهر الله تعالى الحكمة من قلبه على لسانه في مجالس الوعظ. فجلس للوعظ في شوال سنة 521هـ في مدرسة أبي سعد المُخَرّمي بباب الأَزَج في بغداد، وذاع له صيت كبير في الزّهد فضاقت المدرسة بالناس ممّا اضطرّه إلى توسِعتها، حتى نقل مجلسه إلى خارج بغداد عند المصلّى، فقد أصبح يحضر مجلسه عدد كبير من الناس قُدِّر بسبعين ألفًا".[2]

وكان تلاميذه ومريدوه كُثُر من شتى بقاع العالم، وقد بلغوا مئات الآلاف بعد السنوات التي انقطع فيها الشيخ للتدريس، فضلًا عمّن تأثر بشخصه ومنهجه وطريقته من بعد وفاته إلى يوم الناس هذا.

فنذكر من جملة تلاميذ الشيخ الذين حَفِظَ التاريخُ أسماءَهم: "أبا الفتح نصر بن المنِيّ[3] الذي أصبح شيخ الحنابلة، وأحمد بن أبي بكر بن المبارك أبي السعيد الحريمي[4]، والحسن بن مسلم، ومحمود بن عثمان بن مكارم النّعّال[5]، وعمر بن مسعود البزاز، وعبد الله الجبّائي، الموفّق بن

1- عبد القادر الجيلاني، رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله، تح: مُحَمَّد غسان نصوح عزقول، المرجع السابق، ص13.

2- عبد القادر الجيلاني، رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله، المرجع السابق، ص13.

3- ابنُ المِنِّيّ أبو الفتح نصر بن فتيان بن مطر النُّهرُوانِيّ: المفتي، شيخ الحنابلة، ولد سنة إحدى وخمس مائَة، تفقّه على أَبِي بكر الدّينوريّ، ولازمه حتى برعَ في الفقه... وتصدّر للعِلم، وتكَاثر عليه الطلبة، تفقّه عليه: الشيخ مُوَفَّق الدِّين، والبهاء عبد الرحمَن، والفخر إسماعيل، توفّي فِي خَامِس رمضان، سنة ثلاث وثمَانين وخمس مائَة، ودُفِن بداره –رحمه الله–. أُنظر: شمس الدين الذهبي، سِيَر أعلام النّبلاء، المرجع السابق، ج21/ ص37، 38.

4- أبو السُّعود الحَرِيمي الزَّاهد:كان عطّارًا فأقامه الله تعالى، فانقطع إليه، وصَحِبَ الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه، وأخذ عنه الطريق، فصار المشار إليه بعده، وكان له كراماتٌ وإشارات، وقَبُولٌ عام عند الخاصّ والعام... وكان حسنَ الأخلاق، كريمَ الطِّباع، توفي سنة 582هـ. أُنظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، المرجع السابق، ج21/ ص313، 314.

5- محمود بن عثمان بن مكارم، أبو الثَّناء النَّعَّال الحَنبلي: الشيخ الزَّاهد، وُلِد سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة ببغداد بالبَدْرية، وقرأ القرآن وسَمِعَ الحديث، وكان آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، وكانت له رياضاتٌ ومجاهدات، ساح في بلاد

قدامة[1]، وحامد بن محمود الحرّاني، وزين الدين بن إبراهيم بن نجا الأنصاري الدمشقي... ومن تلاميذه أيضا أحمد بن المبارك المرقعاتي، ومُحَمَّد بن الفتح الهروي وغيرهم".[2] هذا بالإضافة إلى أولاده كلهم (عبد الجبار، وإبراهيم وعبد الوهاب وعبد الرزاق)؛ فقد تتلمذوا على يديه وسمعوا منه.

الفرع الرابع: وفاته وآثاره:

أولًا: وفاته:

بعد المحطّات التاريخية التي مرّ بها الشيخ عبد القادر الجيلاني في حياته والآثار العظيمة التي خلّفها، كان قد "عاش تِسعينَ سنَةً، وَانْتقلَ إِلى الله في عاشرِ رَبيع الآخِر، سنة إحدى وسِتّينَ وَخَمس مائة، وشيَّعه خَلقٌ لاَ يُحصَون، وَدُفِنَ بِمدرسته – رحمه الله تعالى–"[3].

"وقيل: أنه لم يمرض في حياته مرضًا شديدًا سوى مرض موته الذي دام يومًا وليلة فقط".[4]

وقد سأله ابنه الشيخ عبد العزيز عن مرضه فقال له: لا يسألني أحد عن شيء، أنا أتقلّب في علم الله –عز وجل–، إنّ مرضي لا يعلمه أحد ولا يعقله أحد، وسأله ابنه الشيخ عبد الجبار: ماذا يؤلمك من جسمك؟ فقال –رضي الله عنه–: جميع أعضائي تؤلمني إلا قلبي فما به ألم وهو مع الله – عز وجل–، وكان يقول –رحمه الله تعالى–: أنا لا أخاف من أي إنسان، أنا لا أخاف من الموت، ولا ملك الموت. وكان يرفع يديه ويمدّهما وهو يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أتاه الحق وسكرة الموت فجعل يردّد: استعنت بلا إله إلا الله سبحانه وتعالى، وهو الحي

الشَّام وغيرها، وبنى رباطًا بباب الأَزَج، يأوي إليه أهلُ العِلْم من المقادسة وغيرهم، وانتفعَ به خَلْقٌ كثير، كانت وفاته في صَفر سنة التاسعة وست مائة، أُنظر: سبط ابن الجوزي، المرجع نفسه، ج22/ ص93، 94.

1– عبد الله بن أَحْمد بن محمَّد بن قدامة، أبو محمَّد، شيخنا موفق الدين، المقدسي: ولد في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، وقرأ القرآن، وتفقَّه على مذهب الإمام أَحْمد رحمة الله عليه، صنَّف المصنفات الحسان منها: كتاب "البرهان في علوم القرآن"... وكان إمامًا في التَّفاسير والفِقْه والحديث والفنون، وكانت وفاته بدمشق السنة العشرون وست مائة. أُنظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، المرجع السابق، ج22/ ص265، 266.

2– عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، المرجع السابق، ص286، 288.

3– شمس الدين الذهبي، سِير أعلام النبلاء، المرجع السابق، ج20/ ص450.

4– مُحَمَّد العيني، عبد القادر الكيلاني، ص76. أُنظر: عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، المرجع السابق، ص265.

الذي لا يموت ولا يخشى الموت، سبحان من تعزّز بالقدرة، وقهر عباده بالموت، لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله...ثم أخذ يردد: الله، الله، حتى خفي صوته ولسانه ملتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الكريمة –رضوان الله تعالى عليه–. [1]

وقد نُقِش اسمُه في مدوّنات التاريخ لدوره الكبير في تربية و إصلاح النفوس.

ويَحسُن بنا في هذا المقام أن نشير إلى بعض مناقب الشيخ وثناء العلماء عليه، قبل أن نذكر آثاره العظيمة.

مناقبه وأقوال العلماء فيه: لقد عُرِف الشيخ عبد القادر –رحمه الله– بخِصاله الفاضلة وسَمْتِه الذي ورثه مِن هدْي المصطفى –ﷺ–، فكان قدوةً لتلامذَته ومريديه، وأثنى عليه علماء الأمة في عصره وحتى بعد موته وإلى يوم الناس هذا.

يذكر ابن رجب في الطبقات أن ابن السمعاني قال عن الشيخ عبد القادر: "إمام الحنابلة وشيخهم فى عصره، فقيهٌ صالح، ديّن خير، كثيرُ الذكر، دائمُ الفكر". [2]

وبعد أن جلس للوعظ والإرشاد "حصل له القبول التام من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا به وبكلامه، ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته وهابَه الملوك فمن دونهم.

قال الشيخ موفق الدين صاحب المغنى: لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحدا يعظم من أجل الدين أكثر منه.

وذكر الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية: أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نقلت بالتواتر". [3]

وقال صاحب مرآة الزمان: "وكان سكوتُه أكثرَ من كلامه، وكان يتكلَّم على الخواطر، فظهر له صِيتٌ عظيم وقبول تام، وما كان يخرج من مدرسته إلَّا يوم الجُمُعة إلى الجامع أو إلى الرِّباط،

1- عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، المرجع السابق، ص265، 266.

2- ابن رجب زين الدين أبو الفرج، الذيل على طبقات الحنابلة، تح: مُحَمَّد حامد الفقي، دط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، 1732 هـ - 1952م، ج1/ ص291.

3- ابن رجب، المرجع نفسه، ج1/ ص291، 292.

وتاب على يده معظمُ أهل بغداد... وكان يَصْدع بالحقِّ على المنبر، وينكر على من يولِّي الظَّلَمة على الناس".[1]

"وقال عمر الكميماتي: لم تكن مجالسه تخلو ممّن يُسلِم من اليهود والنصارى، أو من يتوب من المسلمين من قطع الطريق وقتل النفس وغير ذلك، ولا مِمّن يرجع عن بدعة..."[2]

ثانيًا: آثاره:

لقد خلّف الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلاني آثارًا جمّة شهدت على دوره العظيم في إصلاح النفوس، فكان تلاميذُه ومريدوه في كل بقاع العالم أعظمَ تجلّيات هذه الآثار، فضلًا عن معالم السير إلى الله والأوراد والأحزاب التي علّمها لتلاميذه، كما ترك تصانيف عدّة، وسأكتفي بذكر المشهور من أعماله المتداولة والمعروفة وهي:

1- الغُنية لِطالبي طريق الحق: وهو كتاب من جُزأين، ألّفه الشيخ عبد القادر "في معرفة الصانع -عز وجل- ومعرفة الآداب الشرعية من الفرائض والسنن والأركان، والاتّعاظ بمواعظ القرآن الكريم والألفاظ النبوية ومعرفة أخلاق الصالحين، لِيكون عونًا للمُريد على سلوك طريق الله -عز وجل- وامتثال أوامره وانتهاء نواهيه".[3]

2- فتوح الغيب: وهو عبارة عن مقالات للشيخ في العقائد والإرشاد، يتألّف من ثمانٍ وسبعين مقالة...[4]

3- الفتح الرباني والفيض الرحماني: وهو عبارة عن مجالس للشيخ في الوعظ والإرشاد وتهذيب النفوس، يحاور فيها تلامذته ومريديه، ويتكون من اثنين وستّين مجلسًا.

4- الديوان العربيّ: الذي حقّقه الدكتور يوسف زيدان، وقد جاء في قسمين: القسم الأول للقصائد الصوفية كقصيدة "ما في الصبابة وقصيدة الوسيلة"، والقسم الثاني للمقالات الرمزية.

1- سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، المرجع السابق، ج21/ ص78.

2- ابن حجر العسقلاني، غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، المرجع السابق، ص19.

3- عبد القادر الجيلاني، الغُنية لِطالبي طريق الحق عز وجل (في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية)، تح: أبو عبد الرحمن صلاح بن مُحَمَّد بن عويضة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ- 1997م، مقدمة المؤلف، ج1/ ص9، 10.

4- جمال الدين فالح الكيلاني، هكذا تكلم الشيخ عبد القادر الكيلاني، ط1، دار الكتب العالمية، داكا بنغلاديش، 14535هـ- 2014م، ص15، 16.

وله الديوان الفارسي: الذي ظهر وطُبِع سنة 2018، وكانت طبعته الثانية سنة 2019 من ترجمة الدكتورة منال اليمني عبد العزيز، ويحتوي على مجموعة من الأشعار الفارسية للشيخ عبد القادر والتي يتحدث فيها عن تجربته الرّوحية، وعن المحبة والعشق الإلهي وبعض المقامات والأحوال الصوفية.

كما توجد بعض المراجع التي نُسِبت إلى الشيخ، لا يسع المقام لذكرها لأنها ستفتح لنا إشكالا آخر يتمثل في التحقّق من صحة نسبتها إليه، وهذا ليس محل بحثنا.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الفتح الرّباني والفيض الرحماني.

وسأقدّم في هذا المطلب عرضًا خارجيًّا للكتاب؛ يخصّ الجانب الشكليّ له، وعرضًا داخليًّا؛ يخصّ مواضيعه وما تناوله الشيخ عبد القادر فيه.

الفرع الأول: العرض الخارجي (الشكلي) للكتاب:

أ- عنوان الكتاب: الفتح الرّباني والفيض الرّحماني.

ب- دار النشر: منشورات الجمل.

- الطبعة: ط1 **- تاريخ النشر:** 2007.

ج- عدد الصفحات: 398 صفحة.

د- كيفية تقسيم الكتاب (وصف خطة الكتاب).

جاء محتوى الكتاب في مقدمة قصيرة شملت البسملة والحمد، وذِكر نسب الشيخ عبد القادر، ثم عرْض مجالسِه الاثنيْن وستّين التي كان يعِظ فيها تلاميذَه، وقد جاءت مقسّمة وفق معيار شكلي؛ في مواضيعَ متنوعة غير مصنّفة حسب مجالاتها، بل شمَلت قِيمًا تربوية وأخلاقية وعقدية متعدّدة، منها (عدم الاعتراض على الله وقدره، الفقر، التوبة، الصبر، الإخلاص وعدم المراءاة، معرفة الله، جهاد النفس والهوى، الزهد في الدنيا وخروج حبها من القلب، عدم الشكوى إلى الخَلق، الاعتراف بنِعم الله، الصدق، الكَرم، التمسك بالعروة الوثقى واتّباع الرسول –صلى الله عليه وسلم–، والعمل الصالح، في التفكّر في الحشر واليوم الآخِر...)، ثم خُتِم الكتاب بذِكر وفاة الشيخ عبد القادر –رحمه الله– وما أوصى به أولاده.

الفرع الثاني: العرض الداخلي (الموضوعي) للكتاب:

أ- دوافع التأليف:

ما رآه الشيخ عبد القادر من انحرافات عقدية وتربوية وأخلاقية في عصره، جعلته يُدرِك الخطر الذي يهدّد الأمة وحاجتها المُلِحّة إلى دعوة دينيّة توقِظ في النفوس روح الإيمان وتحثّ على العودة إلى الله.

"وغَيْرتُه وحُرقتُه على ما أصاب المسلمين من تشتتٍ وافتراقٍ وتناحر، وما استولى عليهم من حبِّ الدنيا والتقاتل على الملك والجاه والسلطان، وانصرافٍ إلى المادّة والمناصب، كلّ هذا جعله ينصرف إلى الوعظ والإرشاد والدعوة والتربية وإصلاح نفوس المسلمين وتزكيتها...وإثارة الشعور الإيماني وتقوية عقيدة الآخرة، وتهذيب الأخلاق والدعوة إلى التوحيد والإخلاص لله تعالى". [1]

ب- الفئة المستهدفة:

- تلاميذ الشيخ عبد القادر ومُريدوه، وطلبةُ العلم الشرعي، والدّعاة والوُعّاظ، وبعضُ الرجال الذين تعلّقت قلوبُهم بغير الله والذين كانوا يحضرون مجالسه.

- ويذكر أبو الحسن الندوي أن الشيخ "لم يكن يقتصر على وَعظ العامّة ودعوتهم؛ إنما كان صدّاعًا بالحق صريحًا قويّا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يتناول الخليفة والملوك والأمراء بالنّقد والملامة، ويذمّ ظلمهم، ولا يُحابي في ذلك أحدًا، ولا تمنعه منه جاهة أو سلطان.

- وكان يُنكِر على علماء البلاط والعلماء الرّسميين الذين التزموا صُحبة الملوك والأمراء، يوافقونهم على كل ما يرونه وينفّذونه من أحكام جائرة، ويُخضعون لهم الشريعة ونصوصها...[2]

1- أبو الحسن علي الحسني الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، تقديم: مصطفى السباعي، مصطفى انحن، ط3، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1428هـ- 2007م، ج1/ص312، 313 بتصرف يسير.

2- أبو الحسن الندوي، المرجع نفسه، ص319، 320.

ج– أهم الموضوعات الأساسية للكتاب:

– عدم الاعتراض على الله – الفقر إلى الله – التوبة – الإخلاص و التوحيد – الزهد وتقديم الآخرة على الدنيا – التمسك بكتاب الله وسنة رسوله – وبعض القِيم الأخلاقية (كالصدق والإيثار والصبر، ومخالفة النفس والهوى والتزام العمل الصالح، الرضا بقضاء الله...)

د– المنهج المتبع:

الكتاب مجموعة مجالس وعظ وإرشاد، كلّ منها له تاريخ معيّن في مكان معيّن، يحثّ فيها الشيخ السامعين على الإقبال إلى الله والالتجاء إليه، بأسلوب سلِس يُخاطب القلوب مباشرة.

– وقد كانت مواعظه وخُطَبه مطابقة لعصره وأهل عصره، تتناول شؤونهم وما هم فيه من عِلل وأسقام تطِبُّ قلوبهم، وتُداوي أمراضهم وترد على ضلالاتهم، وكانت تضرب دائما على الوتر الحساس وتمسّ قلوبهم، وتجمع هذه المواعظ بين صولة الملوك ورِقّة الدعاة، وبين زجرِ الآباء ورِفق الأطبّاء.[1]

كما كان يتناول في المجلس الواحد أكثر من موضوع تربوي وعقديّ.

هـ– أهم الفوائد والايجابيات المحصّلة من قراءة الكتاب:

– التّعرّف على شخصية الشيخ المربّي عبد القادر الجيلاني، وما قدّمه من جهود مباركة لخدمة الدين.

– الإلمام بأهمّ المضامين والأبعاد التربوية للعقيدة الإسلامية.

– إثراء الرصيد العقدي والتربوي والدّعوي.

– الاستفادة من كثير من المبادئ والقِيم التربوية والروحية، التي عالجها الشيخ في هذا الكتاب، وخاصّة في تزكية النفس.

– الارتقاء بالفكر إلى فهم بعض المعاني العقدية والتربوية، فكثيرًا ما استوقفتني بعضُها أثناء قراءتي للكتاب.

1– أبو الحسن علي الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، المرجع السابق، ج1/ ص313.

خلاصة المبحث الثاني:

ولقد عرّفتُ في هذا المبحث بشخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني مرورًا بأهمّ محطّات حياته، وأهمّ رحلاته العلمية وبعض شيوخه وتلاميذه، إضافة إلى بعض آثاره وأشهرها كتاب "الفتح الرباني والفيض الرحماني"، الذي كان محلّ دراستي في المطلب الثاني من هذا المبحث، فقدّمتُ له عرْضًا شاملًا –خارجيًّا وداخليًّا–؛ إذِ احتوى الكتاب على اثنيْن وستّين مجلسًا وعظيًّا للشيخ، وتنوّعت مواضيعه بين التربية والعقيدة.

المبحث الثالث: الثمرات التربوية للدرس العقدي في باب الإلهيات

المطلب الأول: الثمرات التربوية للإيمان بالله (على مستوى النفس والمجتمع)

المطلب الثاني: الثمرات التربوية للإيمان بالقضاء والقدَر (على مستوى النفس والمجتمع)

المبحث الثالث: الثمرات التربوية للدرس العقدي في باب الإلهيات.

انطلاقًا مِمّا تمثّله العقيدة من أهمّية بالغة في حياة المؤمن؛ فهي الأساس والرّكيزة التي تقوم عليها أفعالُه وسلوكاتُه وأخلاقُه، وهي التي ترسم معالم شخصيته وتصرّفاته، فإذا صحّت العقيدة صحّت سلوكات الفرد واستقامت أعماله، فتحقّقت الأهداف التي جاءت تلك العقيدة من أجلها.

ولكن، في واقعنا المعاصر بعد انتشار العولمة والغزو الثقافي أصاب الأمة الإسلامية تشتّتٌ وانحرافٌ على جميع الأصعدة –العقديّة، الأخلاقية والنفسية–، وذلك بسبب الفجوة الكبيرة التي أحدَثتْها هذه التّحدّيات بين الإنسان ودينه وعقيدته، وقد جاء كثير من علماء الأمة المصلحين –أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني– لإعادة بوصلة المسلمين إلى طريقها الصحيح وإعادة إحياء شعلة الإيمان في قلوبهم، بإبراز آثاره وثمراته التربوية على مستوى النفس والمجتمع.

إذًا، سنتعرّف في هذا المبحث بإذن الله على الثمرات التربويّة للدّرس العقديّ وفي باب الإلهيات تحديدًا، على مستوى الفرد والمجتمع، استقراءً من كتاب الفتح الرّباني والفيض الرحماني.

المطلب الأول: الثمرات التربوية للإيمان بالله (على مستوى النفس والمجتمع):

الإيمان بالله هو أصل العقيدة ومحورها وهو أول ركن من أركانها، وما أنزِلت الكُتب ولا أُرسِلت الرسل إلّا لتقريره وتثبيته في النفوس.

وما صلاحُ العبد واستقامته إلا بتمسّكه بأصل عقيدته وإيمانه التّام بالله وحده لا شريك له وبجميع أسمائه وصفاته تعالى.

الفرع الأول: تعريف الإيمان بالله و الاستدلال عليه:

ويُعرّف الإيمان بالله بعدّة تعريفات منها:

"إفراد الله بما يستحقّ.

أو هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبّر للكون كلّه، وأنه هو الذي يستحقّ العبادة وحده لا شريك له، وأنّ كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: 60]، وأنه -سبحانه- متّصِفٌ بصفات الكمال ونعوت الجلال، منزّهٌ عن كل نقص وعيب".[1]

- وقد جاءت الأدلّة في القرآن الكريم على وجوب الإيمان بالله: منها قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: 177].

وجاء في تفسير هذه الآية عند ابن كثير: "أي الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثُما وجَّهنا توَجّهنا، فالطاعة في امتثال أمرِه ولو وجّهَنا في كل يوم مرّاتٍ إلى جهات متعدّدة، فنحن عبيده وفي تصرّفه، وخُدَّامُه حيثما وَجَّهَنا توَجّهْنا، وهو تعالى له بعبدِه ورسوله مُحَمَّد –صلوات الله وسلامه عليه– وأمّتِه عنايةٌ عظيمة؛ إذْ هَداهم إلى قِبلة إبراهيم خليل الرّحمن، وجعل توجّهَهُم إلى الكعبة المبنيّة على اسمه تعالى وحده لا شريك له".[2]

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: 136]. وفي هذه الآية "يأمر اللهُ تعالى عبادَه المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشُعَبه وأركانه ودعائمه...فأمَرَهم بالإيمان بِه وبِرسوله، وبالقرآن الذي أنزَل على رسوله..."[3]، والأمر يقتضي الوجوب.

---

[1] - مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، الإيمان بالله، دط، دم، دت، ص4.

[2] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ج1/ ص326.

[3] - ابن كثير، المرجع نفسه، ج2/ ص384.

-كما جاءت الأدلة النبوية دالّة على وجوب الإيمان بالله، أبرزها حديث جبريل المشهور الذي سأل فيه النبيَّ –ﷺ– عن الإسلام والإيمان والإحسان: "عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب – رضي الله عنهما– قال: حدّثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم، إذْ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثّياب، شديدُ سوادِ الشّعر، لا يُرى عليه أثرُ السّفر، ولا يَعرفه منّا أحد، حتى جلس إلى النبيّ –ﷺ– فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفّيْه على فخِذيْه وقال: يا محمّد أخبِرني عن الإسلام، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله –ﷺ–، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعتَ إليه سبيلا**". قال: صدقت. قال فعجِبنا له يسأله ويُصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان. **قال:"أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَر خيرِه وشرّه" قال: صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان. قال: "أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكُن تراه، فإنه يراك"**...[1]، فتحدّث النبيّ –ﷺ– أن الإيمان بالله أوّل ركن من أركان الإيمان وجب تحقيقه.

والإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده تعالى، والإيمان بأنه متفرّد بخَلق هذا الكون وتدبيره، وأنه وحده من يستحقّ العبادة، وأنه متفرّد بصفات الكمال والجمال والجلال وحده.

[1]- أخرجه مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تعالى، حديث رقم8، تح: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1374هـ- 1955م، ج1/ ص36.

الفرع الثاني: الإيمان بوجود الله وأثره التربوي: (على مستوى النفس والمجتمع)

"وجود الخالق تعالى حقيقة ثابتة، والشعور به أمر فطريّ في الأنفس؛ إذ هو أول شعور يشرق في أعماق الإنسان إذا تأمّل في نفسه وفي الكون من حوله، يشعر بوجود قوة كبرى مهيمنة على الكون تمنحه التّدبير والتّنظيم، وتتصرّف فيه بالحياة والموت، والبناء والفناء، والتغيّر والتّطوّر، والحركة والسكون، وجميع التغييرات الحكيمة التي تجري فيه. فالإنسان يشعر بهذه الحقيقة ويؤمن بها إيمانًا عميقًا، سواءً استطاع أن يقيم الدليل البرهانيّ على صدق هذا الشعور أو لم يستطع".[1]

أولًا: تعريفه:

الإيمان بوجود الله تعالى: "هو أن نعتقد أن الله تعالى موجود، وأن وجودَه بذاته ليس بواسطة شيء، وأنّ وجودَه واجب لا يمكن أن يلحقه عدَم".[2]

ويذكر الدكتور عثمان ضميرية أن: "وجود الله تعالى فطرة في نفس كل إنسان، إذْ لا يشكّ عاقل في ذلك، لقوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10]، فلم يكن الأمر بحاجة إلى وقفة طويلة لمناقشة الكفار والمشركين وإقامة الأدلّة على وجود الله تعالى، وإنّما جاءت الرّسل لتصحيح فكرة النّاس عن الألوهية، إلّا أنّ هذه الفطرة قد يصيبها من الأمراض ما يجعلها تنحرف أو تنطمس لسبب من الأسباب، فتحتاج عندئذٍ إلى أن توقَظ من جديد، ولهذا بعث الله تعالى رسله –عليهم السلام– للدعوة إلى التوحيد، وأقام من الأدلة في الأنفس والآفاق ما يجعل هذه الفطرة تعود إلى سابق صفائها ونقائها، وما يجعل المنكِر لوجود الله تعالى معترفا بهذا الوجود المطلق، وعندئذ تتعانق الأدلة الشرعية السمعية مع الأدلة الكونية والعلمية لتشير كلها إلى هذه الحقيقة الكبرى في الوجود وهي الإيمان بالله تعالى".[3]

---

[1]– عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط2، دار القلم، دمشق– بيروت، 1399هـ– 1979م، ص96.

[2]– عبد العزيز عز الدين السيروان، الإيمان أركانه– دلائله– ثمراته شرح الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية للشيخ الطاهر الجزائري، المرجع السابق، ص43.

[3]– عثمان بن جمعة ضميرية، أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، المرجع السابق، ص58.

وقد تنوّعت وتعدّدت الأدلة على وجود الله من أدلة نقلية: كقوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10]، إلى أدلة عقلية: كدليل الفطرة، لقوله تعالى: ﴿فَأَقِم وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30]، ودليل العناية وغيرها من الأدلة...

فالعاقل يرى عظمة الله في كل شي من حوله؛ في تنسيقِ وانسجامِ تفاصيلِ هذا الكون، ودقّةِ تنظيمه، وإبداعِ صنعه.

ثانيًا: ثمراته التربوية:

وللإيمان بوجود الله آثار تربوية جمّة على مستوى النفس والمجتمع:

أ- على مستوى النفس: فما صلاح النفس إلا بإيمانها بوجود خالقٍ عظيمٍ قويٍّ عدْلٍ سبحانه وتعالى، ومن بين الثمرات التربوية لهذا الإيمان نذكر:

1- القرب من الله ومحبته تعالى:

فحين يؤمن العبد بوجود الله ويتحقق من ذلك بالتدبّر في آياته –تبارك وتعالى- في الآفاق والأنفس، بعد أنْ أدرَكَ حاجتَه المُلِحّة لوجود إلهٍ يتّخذه ملاذًا وملجأً يعود إليه في كل حالاته، سيسعى إلى التقرّب منه ونيل محبّته ورضاه.

يقول الشيخ عبد القادر –رحمه الله- في وجود الله: "يا غلام، استدلّ بصنعة الله –عزّ وجلّ- عليه وتفكّر في الصنعة وقد وصلت إلى الصانع، المؤمنُ الموقِن العارف له عينان ظاهرتان وعينان باطنتان، فيرى بالعينين الظاهرتين ما خلق الله –عزّ وجلّ- في الأرض، ويرى بالعينين الباطنتين ما خَلق الله في السماوات، ثم يرفع الحجب عن قلبه فيراه بلا تشبيه ولا تكييف فيصير مقرّبًا محبوبًا، والمحبوب لا يُكتَم عنه شيء".[1]

فحين يستدلّ العبد على وجود الله بِبديعِ صُنعه في الكون، يؤمن به ويوحّده، ويزداد قربا منه –سبحانه وتعالى- ويصل إلى مرتبة الذين "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه"، وإلى مرتبة الكشف، فيصبح العبد ربّانيًّا، كما جاء في حديثٍ "عن ابن بلال قال: حدّثني شريكُ بن عبدِ اللّه بن أبي نَمِر، عن

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا- بغداد، 2007، ص22.

عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: **"إِنّ اللَّه قال: من عَادَى لِي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، ومَا تَقَرَّب إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُه: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأعطينَّه، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأعيذنَّه، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يكره الموت وأنا أكره مساءته"**[1]. والشاهد في الحديث أنّ من تقرّب إلى الله بالإيمان به وطاعته والامتثال لأوامره ونواهيه نال محبّة الله ورضاه، ثم يتولّاه —سبحانه وتعالى- بمعيّته وعونه وحفظه، فيصير سمعُه وبصرُه وحركتُه وبطشُه بالله -تبارك وتعالى- وبتوفيقه، ويغمره الله بألطافه ونِعمه.

ويضيف الشيخ —رحمه الله- في هذا المعنى: "إن أردت الوصول (إلى الله والقرب منه) فكُن مع امتثال أمره والانتهاء عن نهيه والتسليم إليه في الخير والشرّ، والغنى والفقر، والعزّ والذّلّ... تعمل ويكون قصدك رضا المستعمِل وقربه... اعمل ولا تنافس لا على ذرّة ولا على بدرة، لا تنظر إلى عملك بل تكون جوارحك تتحرّك بالعمل وقلبك مع المستعمل، فإذا تمّ لك هذا صار لقلبك عيون تنظر بها، صار المعنى صورة والغائب حاضرًا... العبد إذا صلح لله -عزّ وجلّ- كان معه في جميع الأحوال يغيّره ويبدّله وينقله من حالٍ إلى حال، يصير كله معنى يصير كله إيمانًا وإيقانًا ومعرفة وقربًا ومشاهدة... كل هذا أساسه الأُنسُ بالله —عزّ وجلّ-".[2]

"وهذا هو العبد الموفّق السّالك إلى ربّه؛ فإذا سلك العبد على هذا الطريق (طريق القرب من الله وطاعته) عطف عليه ربُّه فقرّبه واصطفاه، وأخذ بقلبه إليه، وتولّاه في جميع أموره في معاشه ودينه، وتولّى تربيته في جميع أحواله، فإنه سبحانه القيّوم، المقيم لكل شيء من المخلوقات، المطيعِ منها والعاصي، ونواصيهم جميعاً بيده. فكيف تكون قيّوميّته بمن أحبّه وتولّاه وآثره على

[1]- أخرجه أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرّقاق، باب التواضع، حديث رقم6137، تح: مصطفى ديب البغا، ط5، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، سوريا، 1414هـ- 1993م، ج5/ ص2384.

[2]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص152.

ما سواه، ورضي به من دون الناس ربًّا وإلهًا، وهاديًا ووكيلًا وناصرًا ومعينا، فلو كشف الغطاء عن ألطافه وبِرّه وصنعه له من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم لذاب قلبه محبة له وشوقاً إليه".[1]

ويقول الشيخ عبد القادر: "عليكَ بمحبّته في الدنيا والآخرة، اجعل محبّته أهمّ الأشياء إليك لا بدّ لك منها فهي التي تنفعك، كل من الخَلق يريدك له والحق –عزّ وجلّ– يريدك لك".[2]

والمحبة هي: "توحيد المحبوب بالمحبة، وذلك بسقوط كل محبة في القلب إلا محبة الحبيب، وإيثار المحبوب على جميع المصحوب، وموافقة الحبيب في المشهد والمغيب، وأن تَهَب كُلّك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء؛ فتهَبَ إرادتَك وعزمَك ونفسَك وأفعالَك ووقتَك ومالَك لمن تحبه، وتجعلها حبسًا ووقفًا في مرضاته ومحابه، فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك، فتأخذه منه له سبحانه، وتمحو من القلب ما سوى المحبوب وما يحب، وهذا كمال المحبة".[3] فقال الشيخ –رحمه الله–: "المحِبّون له رضوا به دون غيره، استعانوا به واقتصروا عمّن سواه".[4]

إذًا فالإيمان بوجود الله مفتاحُ القرب منه ومحبّته تعالى.

2– الخوف من الله والرجاء منه وحده:

فالإيمان بوجود الله إلهًا خالقًا عظيمًا قويّا قادرًا، يُثمر في قلب المؤمن خوفًا ورجاءً منه تعالى دون غيره، لأنه كما قال الشيخ عبد القادر: "الحقّ –عزّ وجلّ– أهلٌ أن يُخاف ويُرجى"[5].

ويقول –رحمه الله–: "المؤمن لا يخاف غير الله –عزّ وجلّ–، ولا يرجو غيره، قد أعطى القوة في قلبه وسرّه".[6]

"والمؤمن يعيش في الدنيا بين الخوف من الله ورجاء رحمته، فيخاف من الله خوفاً يدفعه إلى العمل، ولا يدفعه إلى اليأس والقنوط، فهذا الخوف يجعل الإنسان يستقيم على الصراط المستقيم، والرجاء يجعل العبد يطمع في رحمة رب العالمين، يرجو ربه فلا ييئس من رحمته، وقد

---

[1]– مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، دط، بيت الأفكار الدولية، دت، الباب الرابع فقه الإيمان بالله، ج2/ ص1778.

[2]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص89.

[3]– مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج2/ ص1783.

[4]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص146.

[5]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص88.

[6]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص59.

وردت آيات وأحاديث كثيرة تثمر في القلب الخوفَ من الله والخشية والرهبة منه سبحانه"[1]، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:12]. وقوله كذلك: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: 28].

وما أشدُّ عباد الله خوفًا وخشيةً من الخالق –تبارك وتعالى– إلّا مَن عرفه سبحانه معرفةً حقّة، وآمن به إيمانًا تامًّا.

3– صلاح القلب وتقوى الله:

فالإيمان بوجود الله إلهًا واحدًا خالقا للكون، يطهّر القلب ويصلحه من العقائد الشّركية الباطلة، ويجرّده عمّا سوى الله.

يقول الشيخ عبد القادر –رحمه الله–: "لا فلاح لقلبك وفيه غير الله–عز وجلّ–"[2]، ويقول كذلك: "صلاح القلب بالتقوى والتوكّل على الله –عز وجلّ– والتوحيد له والإخلاص في الأعمال وفساده بعدم ذلك".[3] وإذا صلح القلب صلح الجسد كله وصلحت الأعمال كلها، لأن أعمال الجوارح قائمة على أعمال القلوب وأهمها الإخلاص لله وحده.

"ولذا لزم على كل مسلم أن يبدأ بتطهير قلبه وإصلاحه والعناية به، قبل أن يعتني بإصلاح ظاهره، إذ لا عبرة بصلاح الظاهر مع فساد الباطن، ومتى ما أصلح المسلمُ قلبَه بالأعمال الزاكية والإخلاص والصدق والمحبة لله تعالى ولرسوله –ﷺ–، استقامت جوارحُه وصلح ظاهره".[4]

كما جاء في حديثٍ لرسول الله –ﷺ–: "حدّثنا محمَّد بن عبد الله بن نُمَيْر الهمذاني، حدّثنا أبي، حدَّثنا زكريَّاء عن الشَّعبِيّ، عن النُّعمان بن بشير، قال: سمعتُه يقول: سمعتُ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم يقول: (وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْه): **"إِنَّ الحلال بيّنٌ وإِنَّ الحرام بَيّنٌ وبينهما مشتبَهات لا يعلمُهُنَّ كثير من النَّاس، فمن اتَّقى الشُّبُهات استبْرَأَ لِدِينِهِ**

---

[1]– أحمد حطيبة، شرح رياض الصالحين، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج25/ ص1.

[2]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص55.

[3]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص7.

[4]– عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، ط1، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1416هـ– 1996م، ص214.

وعِرْضِه، ومن وقع فِي الشُّبُهات وقع فِي الحرام، كالرَّاعي يرعى حوْل الحِمَى، يوشِك أن يَرْتَعَ فيه، ألَا وإنَّ لِكل مَلِك حِمًى، أَلَا وإن حِمَى اللَّه مَحَارِمُه، أَلَا وإنّ في الجسد مُضْغَة، إذا صلحت صلَح الجسد كله وإذا فسدت، فسَد الجسد كله، ألَا وهي القلب".[1]

"فهذا الحديث فيه أعظم إشارة إلى أن صلاح حركات العبد الظاهرة بحسب صلاح حركة قلبه وباطنه، فإن كان قلبه سليما ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات جوارحه كلها، بخلاف ما إذا كان قلبه فاسداً قد استولى عليه حب الهوى واتباع الشهوات وتقديم حظوظ النفس فإنّ مَن كان كذلك فسدت حركات جوارحه كلها؛ ولهذا يقال أن: القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المشابهة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْم لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۝٨٨ إِلاَّ مَنَ اَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:88، 89] ".[2]

كما أن التقوى ثمرة تربوية للإيمان بوجود الله تعالى؛ إذْ أنّ "تقوى الله عزَّ وجلَّ: أن تفعل ما أمرك الله به رجاء ثوابه، وأن تترك ما نهاك عنه خوفاً من عقابه، وحقّ تقاته: أن لا يترك المسلم شيئاً مما أمر الله به إلا فعله، وأن يجتنب كل ما نهى الله عنه، فيطيعُ ربَّه ولا يعصيه، ويذكره ولا ينساه، ويشكره ولا يكفره، ويؤمن به ويتوكل عليه.

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالتقوى؛ لأنهم هم الذين يعرفون ما يستحقه سبحانه من التعظيم والإجلال والتوقير، وكمال المحبة والطّاعة والذّلّ للرّبّ سبحانه فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]".[3]

---

[1]- أخرجه مسلم، صحيح مسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم1599، المرجع السابق، ج3/ ص1219.

[2]- عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، المرجع السابق، ص214، 215.

[3]- مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج2/ ص1887، 1888، 1889.

وقال الشيخ –رحمه الله–: "اجعل التقوى سلاحك والتوحيد لله –عزّ وجّل– والمراقبة له والورع في الخلوات، والصدق والاستعانة بالله –عزّ وجلّ– جندَك، فهذا السّلاح وهذا الجند هم الذين يهزمونه ويهدمونه ويكسرون جيشه، كيف لا تهزمه والحقّ معك؟"[1] ولا يكون صلاح القلب إلا بإقباله على الله وتقواه في السّرّ والعَلَن، وهذه التقوى تُثمر الاستقامة على طريقه –سبحانه وتعالى–.

4– استقامة سلوك الإنسان:

فالإيمان بوجود الله يقتضي الإيمانَ بشرعِه تعالى وأوامرِه ونواهيه، والإيمانَ بالجزاء والعقاب المترتّبان عليها، ما يدفع المؤمن إلى الامتثال لشرع الله –أمرًا ونهيًا– والاستقامة على طريق الله تعالى.

"والاستقامة: أن يعبد المؤمنُ ربَّه وحده لا شريك له، ويستقيم على الأمر والنهي، فيعمل بطاعته، ويجتنب معصيتَه، ويؤدّي فرائضَه، وأوّلُ الأمور التي تحصل بها الاستقامة: تحقيقُ "لا إله إلا الله" في قلب العبد؛ فيتيَقّن أن الخالق الرّازق المالك المتصرّف في الكون كلّه هو الله وحده لا شريك له، فيتوجّه إليه وحده في جميع أحواله".[2]

يقول الشيخ عبد القادر–رحمه الله–: "أدِّ الأمرَ وانتهِ عن النهي واصبر على هذه الآفات وتقرّب بالنّوافل، وقد سُمّيتَ مستيقِظًا عاملًا لطلب التوفيق من ربّك –عزّ وجلّ– مع اجتهادك... سَلهُ وتذلّل بين يديه حتى يُهيّء لك أسباب الطاعة فإنه إن أرادك لِأمر هيّأك له".[3] وهذه الصفات تحقّق استقامة العبد على طريق ربه تعالى.

وإذ أن الاستقامة امتثالٌ لأمر الله، يقول الشيخ في ذلك: "احفظوا رؤوسكم مع ربكم –عزّ وجلّ–، احذروا منه فإن أخذه أليم شديد... خافوا منه فهو إله السماء وإله الأرض، احفظوا نعمه بالشكر، قابلو أمره ونهيه بالسمع والطّاعة".[4]

---

[1]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص10، 11.

[2]– مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج2/ ص1818.

[3]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص144.

[4]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص16.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلذِى خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21].

"فقوله:" اعبدوا" تأكيد لوجوب الامتثال لأمر الله بفعل الطاعات، واجتناب ما نهى عنه بترك المحرّمات، وأن ذلك أساس هام يقوم عليه الإيمان الصحيح والعبودية الحقّة".[1]

ب- على مستوى المجتمع:

كما أن للإيمان بوجود الله ثمرات تربوية تُصلح المجتمع، نذكر منها:

1- وحدة المسلمين وتآلفهم:

الإيمان بوجود الله تعالى إلهًا واحدًا يساهم في تأليف قلوب المؤمنين وتحقيق الوحدة بينهم؛ إذْ أنّ الإيمانَ نفسَه جاء لتحقيق هذا التآلف والوحدة، ودعا المؤمنين للترابط والتكافل فيما بينهم فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسّهر والحُمّى...

كما أن "أتباع هذا الدّين كلما استمسكوا به ازدادوا اتحادًا؛ لأن ربّهم واحد، ولأن دينهم واحد، ووجهتهم واحدة، ومن أرسِل إليهم رسول واحد -ﷺ-، ونحن معشر أهل الإسلام نتوجه إلى قبلة واحدة، ونعتقد معتقدًا واحدًا، فلِمَ تكون قلوبنا إذًا متفرقة؟ فإذا آمن العبدُ بربّه ومولاه أدّى ذلك إلى أن يتّحد كلّ مَن آمن بالله -عز وجل- على الأمر الذي آمنوا به، وكل ما جاء في دين الله -عز وجل- يدعو إلى هذه الوحدة، وإلى هذا الاتفاق، والله -عز وجل- قد أمرنا بأن نعتصم بحبله، ونهانا عن أن نتفرّق أو نختلف، أو أن يكون الأمر بيننا شيعًا وأحزابا قال -جل ذكره-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَاناً﴾ [آل عمران: 103] "[2]. وحين تتآلف قلوب المؤمنين يساندون بعضهم ويتناصحون فيما بينهم، فيقول الشيخ عبد القادر: "اقبَل نصح أخيك المؤمن ولا تخالفه فإنه يرى لك ما لا ترى

[1]- عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1423هـ- 2003م، ج1/ ص61.

[2]- مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول الدعوة وطرقها 4، دط، جامعة المدينة العالمية، ص174.

أنت لنفسك... المؤمن صادق في نصحه لأخيه، المؤمن يبيّن له أشياء تخفي عليه، تفرّق له بين الحسنات والسيئات، يُعرّفه ما له وما عليه".[1]

وقال كذلك: "إذا صحّ إيمان المؤمن صار مرآةً للخَلق جميعهم؛ يُبصِرون وجوه أديانهم في مرآة كلامه وقت رؤيته والقرب منه".[2]

فالتناصح بين المسلمين من أعظم تجلّيات الوِحدة، وقد مثّلَ صحابةُ رسول الله —صلى الله عليه وسلم– أعظمَ صورِ التناصح فيما بينهم، فهذا "عمر بن الخطاب —ﷺ– كان ينتصح ويقبل النصيحة من أصحاب النّبي صلوات –الله وسلامه عليه– وهو أمير المؤمنين، فقد جاءه خِطاب من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، وهما من العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عن الجميع...أنهما كتبا لـ عمر: سلام عليكم، أما بعد: فإنّا عهدناك وأمرُ نفسك لك مُهِم، وقد وُلّيتَ أمرَ هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع والعدو والصديق، ولكلٍّ حصته من العدل، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر! إنّا نحذّرك يومًا تعنو فيه الوجوه، وتجفّ فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لحجّة مَلكٍ قهَرهم بجبروته يوم القيامة، والخَلق داخرون صاغرون أذلّة يرجون رحمته ويخافون عقابه، وإنا كنا نحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة ؛ أي :كل واحد مُصاحب للآخر في الظاهر، لكن في قلبه يتمنى له الشر، قالا له: وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا؛ أي: نعوذ ونستجير بالله أن تظنّ بنا ظنّ السوء، أو أن الكتاب تأخذه ثم ترميه ولا تعتبر بما فيه، فإنا كتبنا نصيحة لك والسلام عليك...ثم كان الرد من عمر أن كتب إليهما –ﷺ– فقال: من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل: سلام عليكما، أما بعد: فإنكما كتبتما إليّ تذْكُران أنكما تحبّاني، وأمر نفسي لَيَهُمّ... فهو يبيّن لهم أنه قرأ كتابهما، واهتم بما فيه، واحتفظ به، وكان فيه: وأنه لا حول ولا قوة عند ذلك لـ عمر إلا بالله...كتبتم هذه نصيحة تعظاني بالله أن أنزل كتباكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكم، وأنا أنزلها في المنزل الذي أنتم أردتم، وقد صدقتما الأمر، قال: فلا تدعا الكتاب إلي فإنه لا غنى بي

[1]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص 37.

[2]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص282.

عنكم"[1]. نعم، فقد شُهِد في السِّيَر أنّ عمر –رضي الله عنه– كان يخاف على نفسه من الله كثيرا و يوصي أصحابه بأن يقوّموه إذا أخطأ، فالأحرى بالمؤمنين أن يقتدوا بالصحابة وسلفهم الصالح في تناصحهم وتقويم بعضهم بعضًا.

2– انتشار النزاهة والنّبل والتعاون بين أفراد المجتمع:

"ومن آثار الإيمان بوجود الله إقامة مجتمع نظيف المشاعر، نظيف التفكير، نظيف العمل والتعامل، ويكفي أن كل فرد فيه يؤدّي واجبه، وينال حقّه بصورة سهلة وتلقائية؛ فيتعاون أفراد المجتمعِ المؤمِنِ على البِرّ والتقوى، وتتكافَأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، لا فرق بين كبير وصغير إلا بالتقوى، كما يحافظ كل منهم على أخيه؛ ماله، وعرضه، ونفسه، وأماناته؛ طاعة لله تعالى..."[2]واحتسابًا لوجوده وقوّته وبطشه وجزائه، وبهذا تتحقّق المساواة بين أفراد المجتمع؛ مساواة تُمحى بها كل الفوارق بينهم.

يقول الشيخ –رحمه الله–: "اعلم أن الأشياء كلها محرّكة بتحريكه ومسكنة بتسكينه، إذا ثبت هذا له استراح من ثقل الشرك بالخلق واستراح الخلق منه لأنه لا يعيب عليهم ولا يطالبهم بشيء مما يليه، إنما يطالبهم بما طالبهم به الشرع فحسب، يطالبهم شرعا ويعذرهم علمًا جمعا بين العلم والحكم، رؤية فعل الله –عزّ وجلّ– في الخَلق عقيدة لا ينقض بها الحكم، هو المقدّر وهو المطالب".[3]

وفي قول الشيخ بيان للتوحيد الحقيقي والإيمان التحقيقي بالله تعالى؛ إذْ أن رؤية فعله –عزّ وجلّ– في الخَلق عقيدة؛ أي أن من تأمل في ما يصدر من الإنسان تأمّلًا إيمانيًّا اتّضح له أن هاته الأفعال في ظاهرها للإنسان كسبًا وسعيًا، لكنها في باطنها تجلٍّ لعلم الله وقدرته ومشيئته حقيقةً.

فإذا قرّ الإيمان بوجود الله وقدرته في قلب المؤمن تصبح كل سلوكاته ومعاملاته تسير وفق ذلك، فيتعامل مع عباد الله كونهم جميعا تجليات لأفعال الله تعالى في الكون، كما يقول الشيخ: "مَن صحّ نظرُه نَظر بعين رأسه إلى الخَلق، وبعين قلبه إلى فعل الله –عزّ وجلّ– فيهم، يرى تحريكه

[1]– أحمد حطيبة، شرح رياض الصالحين، المرجع السابق، ج5/ ص5.

[2]– أحمد أحمد غلوش، دعوة الرسل عليهم السلام، ط1، مؤسسة الرسالة، 1423هـ، 2002م، ص 76.

[3]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص171.

وتسكينه لهم". [1] فيُحسِن إليهم ويرحمهم ويتعاطف معهم، ويُسلِمهم فلا يؤذيهم لا بلسانه ولا بيَده، مصداقًا لحديث رسول الله—ﷺ- الذي أخرجه مسلم: "حدّثنا حسن الحُلوانيّ وعبد بن حُمَيْد، جميعا عن أبي عاصم قال عبد أنْبَأَنَا أبو عاصم، عن ابن جُرَيْج؛ أَنَّه سمِع أبا الزُّبَيْر يقول: سَمِعْتُ جابرًا يقول: سمعتُ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول: **"المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويدِه"**.[2] وهذا ما يساهم في سواد المساواة والتعاون والمحبة، والنّبل في التعامل بين المسلمين.

3- "تحرير العباد من التّخبّط الفكري، والفوضى العقائدية: والعبودية للمال، وإخراجهم من ظلمات الشرك والجهل والخرافة والدجل إلى نور الإيمان، والعلم، والتوحيد الذي يكشف الحقائق، ويبَصِّر بالصواب، ومن يدور في تاريخ الأمم يعجب من ذلك الضّلال الذي عاش فيه البشر حيث عبدوا الأشجار، والأحجار، والشموس، والأقمار، بل إن البعض ألَّه البشر، والبقر من دون الله -تبارك وتعالى-.

والإيمان بالله -عز وجل- والاستقامة على المنهج يحرّر العبادة من هذه الفوضى؛ لأن ذلك يوجب على العبد ألّا يلجأ إلّا إلى الله، وأن يتوجّه بجميع عبادته إلى ربّه ومولاه، وأن يكون فيها مقتفيًا أثرَ رسول الله -ﷺ- ومصطفاه، والذي يدفعه إلى ذلك هو الإيمان بالله -تبارك وتعالى- دون سواه"[3].

يقول الشيخ —رحمه الله-: "يا قوم اطلبوا بابَه وخيّموا هناك، لا تهربوا من باب الحق —عزّ وجلّ- لأجل الآفات... لا تكونوا من الذين يتخبّطون ولا يدرون ما يريد الحق —عزّ وجلّ- منهم، اعبدوه ثمّ أخلصوا في عبادته أما سمعتموه كيف يُقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. قد تحقّقتم هذا وعلمتموه فلِمَ تتركون عبادته وتتخبّطون في الطريق إليه؟ كل من لا يعبد الله —عزّ وجلّ- فهو من الذين لا يدرون لِم خُلِقوا؟"[4]

---

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص93.

[2]- أخرجه مسلم، صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأيّ أموره أفضل، حديث رقم41، المرجع السابق، ج1/ ص65.

[3]- مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول الدعوة وطرقها 4، دط، جامعة المدينة العالمية، ص174.

[4]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص278.

وقال كذلك –رحمه الله–: "أما تَعلَم أنّ الله –عزّ وجلّ– حافِظٌ للمتّقين وناصرٌ لهم، ورادٌّ عنهم ومعلّمٌ لهم، ومعرِّفُهم بنفسه، وآخِذٌ بأيديهم وينجّيهم من المكاره، وناظِرٌ إلى قلوبهم، ورازِقُهم من حيث لا يحتسبون".[1] فإذا آمنوا بوجوده تعالى إلهًا قويّا قادرًا عظيمًا تحرّروا من الشكوك الضّالة المُضِلّة، فيعرِّفهم اللهُ نفسَه بآياته العظيمة في الآفاق والأنفس، ويعرّفهم الغاية التي خلقهم لأجلها، وينالون الراحة والطمأنينة بعبادته –جل وعلا–.

وحين يعرفونه ويؤمنون به تنتظم حياتهم ويتحرّرون من التخبّط والعشوائية، فتنتظم العلاقات والمعاملات في المجتمع، وتتحقّق الحضارة.

الفرع الثالث: الإيمان بالأسماء والصفات، وأثره التربوي:

أولًا: تعريفه:

"هو الإيمان بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى التي بلغت الغاية في الحُسن، وله الصّفات العُلى التي لا تشبه صفات المخلوقين، فهو سبحانه متفرّد بصفات العَظمة والجَلال، وقد تكفّل سبحانه وتعالى فعرّفنا بأسمائه الحسنى وصفاته العظمى، عن طريق وحيه المنزَّل ثمّ عن طريق رسله –عليهم السلام–، لأنهم أعلم الخَلق بالله –سبحانه وتعالى–... والأدلّة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي: كتاب الله تعالى وسنّة رسوله –صلى الله عليه وسلّم– الثّابتة عنه، فلا تثبت أسماء الله تعالى وصفاته بغيرهما. وعلى هذا فما ورد لله تعالى من ذلك في الكتاب والسُّنّة وجب إثباته، وما وَرد نفيُهُ فيهما وجَب نفيُه مع إثبات كمال ضدّه، وما لم يَرِد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التّوقّف في لفظه، فلا يُثبَت ولا يُنفى...كما يؤمن المؤمن بكلّ ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبته له رسوله –ﷺ– من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل".[2]

[1]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص44.

[2]– عثمان بن جمعة ضميرية، أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، المرجع السابق، ص64، 65.

ومن أدلّته: قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَآءُ الْحُسْنىٰ﴾ [الإسراء: 110]، وقوله تعالى: ﴿الله لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَآءُ الْحُسْنىٰ﴾ [طه: 7].

ومن السنة حديث رسول الله –ﷺ–، الذي أخرجه البخاري: "حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، أن رسول الله –صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: **"إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجنة"**.[1]

وإثبات الأسماء الحسنى لله تعالى في الكتاب والسنّة يستلزم الإيمان بها.

ثانيًا: الأثر التربوي للإيمان بالأسماء والصفات:

للإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى ثمرات عظيمة على النفس والمجتمع؛ إذْ تُعَرّف المؤمن بالله تعالى وكلما عرفها وتحقّق بها في حياته وسلوكاته ومعاملاته، حقّقَ الصورة المثالية للإنسان الخليفة، وتعبَّدَ اللهَ بها.

أ– على مستوى النفس:

"إن للإيمان بأسماء الله وصفاته آثارًا عظيمةً في نفس المسلم وتحقيقه لعبادة ربّه، فمن آثارها تلك المعاني التي يجدها العبد في عبوديته القلبية التي تُثمر التّوكّل على الله تعالى والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه، وخطرات قلبه، وضبط هواجسه حتى لا يفكر إلا فيما يرضي الله تعالى، ويحب لله وفي الله، به يسمع، وبه يبصر، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحَسنُ الظن بربه. هذه المعاني وغيرها مما يتعلق بالإيمان بمعاني الأسماء والصفات تثمر العبودية الظاهرة والباطنة على تفاوت بين شخص وآخر وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.[2]

وجاء في كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنّة بعض الثمرات التربوية لبعض الأسماء والصفات:

---

[1]– أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، حديث رقم2585، المرجع السابق، ج2/ ص981.

[2]– نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، دط، دم، دت، ص73.

"فلِاسمه "الغفّار" أثرُه العظيم في محبّته تعالى وعدم اليأس من رحمته، ولاسمه "شديد العقاب" أثرُه الكبير في خَشيته وعدم الجرأة على محارمه، وهكذا لأسمائه الأخرى وصفاته آثارها بحسب دلالاتها المتنوعة في نفس المسلم واستقامته على شرع الله، بل وتحقيق محبّته في القلوب التي هي أساس سعادة المسلم في الدنيا والآخرة، ومفتاح كل خير وأعظم عون للعبد على عبادته لربّه على أكمل الوجوه؛ إذ الأعمال الظاهرة تخفّ وتثقل على النفس بحسب المحبة القلبية لله تعالى. فإكمال العمل وتحسينه على ما أراد الله منوط بالمحبة القلبية لله، والمحبة منوطة بمعرفة الله بأسمائه وصفاته، ولهذا كان أعظم الناس عبادةً لله رسل الله الذين هم أعظم الناس محبة له وأعرفهم به".[1]

ونضيف بعض الثمرات التربوية للإيمان بالأسماء والصفات التي يمكن استقراؤها من بعض مجالس الفتح الرّبّاني:

1- معرفة الله وتحقيق عبوديّته تعالى:

يقول الشيخ عبد القادر: "يا قوم اعرفوا الله ولا تجهلوه، وأطيعوا الله ولا تعصوه، ووافقوه ولا تخالفوه، وارضوا بقضائه ولا تنازعوه، واعرفوا الحقّ –عز وجلّ– بصنعته، هو الخالق الرزاق، الأول الآخر والظاهر والباطن، هو القديم الأول، الدّائم الأبديّ، الفعّال لِما يريد. هو المغني، المفقر، هو النافع المحيي المميت، المعاقب، المخوف المرجو، خافوه ولا تخافوا غيره، وارجوه ولا ترجوا غيره".[2] وأسماء الله وصفاته تعالى هي أهم الوسائل لمعرفته –عزّ وجلّ–، والإيمان بها يعرّف المؤمنين بخالقهم ومعبودهم، ومعرفتُه تعالى تُثمر حُبًّا له وقربًا منه، ثم إنّ "لمعرفة الله عز وجل دور كبير في إخضاع القلب له سبحانه، والتّجلبُب بجلباب العبودية من ذُلّ وانكسار وخشية وافتقار، وكذلك رؤية النفس على حقيقتها ومدى ضعفها وعجزها وحاجتها إلى مولاها، وبقدر المعرفة تكون العبودية".[3] فيقول الشيخ عبد القادر –رحمه الله–: "العارفون العالمون به عبدوه له لا لغيره، أعطوا الرّبوبية والعبوديّة حقّها، عبدوه امتثال أمره ومحبّة له لا لمعنى

[1]- نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، المرجع السابق، ص73.

[2]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص51.

[3]- مجدي الهلالي، حطِّم صَنمك وكُن عند نفسك صغيرًا، دط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، دم، 1424هـ-2004م، ص75.

آخر، وتركوا ما سواه".[1] فأكثرُ عبادِ الله تحقّقًا بعبوديّته أعرفُهم به سبحانه، ولا تتمّ معرفته إلا بالإيمان بأسمائه وصفاته تعالى.

فمثلًا: "مَنْ آمن بأنّ مِن أسماء الله تعالى العفوّ والغفور والرحيم، وأن من صفاته المغفرة للمذنبين والرّحمة والعَفْو دعاه ذلك إلى عدم اليأس من روح الله، وإلى عدم القنوط من رحمته، بل ينشرح صدره لما يرجو من رحمة ربه ومغفرته، ومَن عرف أن من صفاته تعالى أنه شديد العقاب، والغيرة إذا انتُهِكَت محارمه، والغضب، وأنه ذو انتقام ممّن عصاه حَمله ذلك على الخوف من الله تعالى والبعد عن معصيته".[2]

كما أنّ مَن عَرف اسم الله الحفيظ وآمَن به إيمانًا حقًّا زال من قلبه كلّ خوف مما قد يصيبه أو يؤذيه، ومَن عرف أنّ من أسمائه تعالى الصّمد لم يطلب حوائجه ولم يَرجُ من غيره. فيقول الشيخ –رحمه الله–: "كُن مع الله –عزّ وجلّ– تَكُن غَنيًّا عزيزًا".[3]

فالإيمان بأسماء الله وصفاته يُثمر معرفته تعالى، ومعرفته تُثمِر في نفس المؤمن حُبّا وقربًا وتَذلُّلًا وافتقارًا ولجوءً إليه وخوفًا ورجاءً منه –تبارك وتعالى–، وكلّ هذا تحقيق للعبوديّة التّامّة لله، "وإذا صحّت عبوديّتك له أحبَّكَ وقوّى حُبَّه في قلبك وآنسك به وقرّبك منه من غير تعب ولا طلب لك صحبةَ غيره، فتكون راضيًا عنه في جميع الأحوال".[4]

2– تعظيم الله –سبحانه وتعالى–:

فالإيمان بأسماء الله وصفاته يورِث تعظيمَه –جلّ في عُلاه–، "والتعظيم هو معرفة عظمة الرّبّ، وإجلاله مع التذلّل له، وعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم تعظيماً له وإجلالاً، ومحبة وطاعة وعبادة.

وتعظيم الحق سبحانه أن لا تجعل دونه سبباً؛ فهو الذي يوصل عبدَه إليه، فلا يوصل إلى الله إلّا الله، ولا يُقرّب إليه سواه، ولا يُدْني إليه غيره، ولا يُتَوَصّل إلى رضاه إلّا به، ولا هدى إليه سواه. ومن تعظيمه عزَّ وجلَّ تعظيمُ حُرُماته، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُّعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ

[1]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص136.

[2]– عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، ط2، مكتبة الرشد، 1424هـ، ص46.

[3]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص46.

[4]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص 30، 31.

فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: 30]، وتعظيمُ أمره ونهيه، وتعظيمُ حُرُماته، وتعظيمُ قضائه وقدره، هو الواجب على كل مسلم، فيُعظّم ربَّه تعظيمًا لذاته، وخوفًا من عقابه، وطلبًا لثوابه فهو سبحانه أهلٌ أن يُعبد وأن يُحَب، وأن يُعظَّم، وهو الذي يستحق العبادة والتعظيم والإجلال لذاته، فمنه كل شيء، وبِيَده كل شيء، وهو القادر على كل شيء".[1]

كما يقول الشيخ عبد القادر –رحمه الله-: "والحقّ –عزّ وجلّ- أهلٌ أن يُخاف ويُرجى، ولو لم يخلق جنّة ونارًا أطيعوه طلبًا لوجهه".[2]

وأغلب صفات الجلال للمولى -تبارك وتعالى- تُثمِر في قلب المؤمن وفكره تعظيمَ الخالق سبحانه وتعالى.

"فإذا ذكر المؤمنُ ربَّه –عزّ وجلّ- باسميْه "القويّ المتين" شعَر بضآلة الكون كلّه وتصاغُره أمام قوّة القادر وشدّته وقهره وجبروته، وأحسّ من أعماق قلبه أنه لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق، ولا إرادة له مع إرادته، ولا تدبير له مع تدبيره، ثم لا يلبث مع تكرار الذكر والفكر في مُلك الله وملكوته حتى ينتابه شعورٌ آخر يملك عليه كيانه كله، وهو الشعور بأنه قويّ بالله الذي أمدّه بقوة الإيمان، عزيز بالله الذي أمدّه بسلامة اليقين وحسن التوكّل عليه، ثابت على الحق بالحق الذي هَداهُ إليه، وعَصَمه به عن جَليّ الشّرك وخَفِيّه، ووساوس الشيطان وهواجسه، فلا يتحرّك حركة إلا في طاعته، ولا يجِد في قلبه ركنا لغيره".[3]

---

[1]- مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج2/ ص1807، 1809، 1810.

[2]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص88.

[3]- مُحَمَّد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، ط1، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1421هـ- 2000م، ص223.

3- استشعار الرقابة الإلهية الدائمة:

فالإيمان بأسماء الله وصفاته تعالى يجعل المؤمن يستشعر رقابتَه ويستحضِر وجودَه في كل حركاته وسكناته، ويتحسّس مَواطِن أقدامه، ويخاف الله ويتَّقِيه في خُلْواته، فيستحي أن يراه المولى –عزّ وجلّ- مقصّرًا أو عاصيًا.

يقول الشيخ –رحمه الله-: "يا غلام، تحتاج في خلْوتك إلى ورَعٍ يُخرجك عن المعاصي والزّلّات، ومراقبةٍ تُذكّركَ نظرَ الحقّ –عزّ وجلّ- إليك".[1]

ويقول كذلك: "راقبوا ربّكم –عزّ وجلّ- في خُلْواتكم وجلواتكم، اجعلوه نصب أعينكم حتى كأنكم ترونه فإن لم تكونوا ترونه فهو يراكم".[2]

فالمؤمنُ مطالبٌ باستحضار اسمِ الله "الرّقيب" واسمِه تعالى "البصير"، والإيمانِ والتحقّق به في جميع أحواله خاصة في خلواته، والتّحقّق بمقام "أن تعبد الله كأنّك تَراه، فإن لم تَكن تَراه فإنه يراك".

"والرقيب: هو الّذي لا يغفل عن شيءٍ في مُلكه، ولا يغيب شيءٌ عن علمه وسمعه وبصره، ولا يُعجِزه إحصاءُ أنفاسِ خَلقه، ولا يَفُوته تقديرُ ما لهم وما عليهم في دنياهم وآخرتهم، وهو المطّلع على الضمائر والشاهد على السّرائر".[3]

كما يقول الشيخ عبد القادر: "ربّنا –عزّ وجلّ- لكلّ شيء شاهد، في كل شيء حاضر، على كل شيء رقيب، ومن كل شيء قريب لا غُنيَة لكم عنه".[4]

ويضيف الدكتور مُحَمَّد بكر إسماعيل: "أنّ المؤمن إذا ذكر ربّه باسمه "الرّقيب" استحضر في قلبه الخشيةَ منه، واستحيَى ممّا هو عليه من فتورٍ في الهمّة وتقصيرٍ في الواجب، وركونٍ إلى الدّنيا وميلٍ إلى الشّهَوات الفانية والملذّات الواهية، واستشعرَ الخوفَ منه –جلّ شأنه-... وإذا عرف أن الله رقيب عليه، لا تخفى عن علمه شاردة ولا واردة من أمره، وجب عليه أن يراقب في جميع أحواله وأفعاله الظاهرة والباطنة، ويشغَل نفسَه بإصلاحها وتقويمها والترقّي بها في درجات الحبّ

---

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، المصدر السابق، ص9.

[2]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص107.

[3]- مُحَمَّد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، المرجع السابق، ص170.

[4]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص 31.

ومراتب القرب في ساحة خالقه ومولاه، حتى يصِل إلى أعلى مراتب الإيمان وهي مرتبة الإحسان ".[1]

"فمن استقرّ في قلبه أنّ من أسماء الله تعالى "البصير"، وأنه تعالى يرى دبيب النملة السوداء في اللّيلة الظّلماء على الصّخرة السّوداء، وكذلك إذا علم أن من أسماء الله تعالى "الرقيب"، و"العليم"، وأنه تعالى يَعلم نِيّات العباد وخلجات نفوسهم، حَمله ذلك على البعد عن معصية الله، وألّا يراه الله حيث نهاه، وعلى مراقبته سبحانه في كل ما يأتي وما يذر[2]. وهذا يُثمر الحياء من الله، فيقول الشيخ عبد القادر: "استحيوا من الله –عزّ وجلّ– حقّ الحياء"[3].

وفي ما سبق ذِكرُه يكمن البعدُ التربويّ لاسم الله الرّقيب والبصير؛ فإذا أدرك العامل والتاجر والأستاذ والحارس والحاكم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، واستحضر في قلبه رقابتَه تعالى الدّائمةَ وقولَه تعالى: ﴿أَلَم يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: 14]، أدّى واجبَه على أتمّ وجهٍ وحَفظ أمانتَه حفظًا يخشى به الرّقيب –تبارك وتعالى–.

4– الافتقار إلى الله:

والافتقار إلى الله تعالى كذلك من ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته تعالى، وإظهارُه يُقوّي الإيمان بالله سبحانه وتعالى ويقرّب العبدَ من ربّه، ويقول الشيخ عبد القادر –رحمة الله عليه– في الافتقار إلى الله: "ذلّ لله –عزّ وجلّ– وأنزِل حوائجك به... أغلق أبواب الخَلق وافتح الباب بينك وبينه واعترف بذنوبك واعتذر إليه من تقصيرك، وتيقّن أن لا ضارّ ولا نافع ولا معطي ولا مانع إلا هو، فحينئذ يزولُ عَمى عينِ قلبِك ويحرّك البصر والبصيرة".[4]

"ويتحقق الافتقار إلى الله بأمرين متلازمين هما:

– إدراك عظمة الخالق وجبروته: فكلما كان العبدُ أعلمَ بالله تعالى وصفاته وأسمائه كان أعظم افتقاراً إليه وتذلّلاً بين يديه.

---

[1]– محمّد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، المرجع السابق، ص170، 171.

[2]– عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، المرجع السابق، ص47.

[3]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص26.

[4]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص15.

– إدراك ضعف المخلوق وعجزه: فمَن عرف قدرَ نفسه، وأنَّه مهما بلغ في الجاه والسلطان والمال، فهو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صرفاً ولا عدلاً، تصاغرت نفسه، وذهب كبرياؤه، وذلَّت جوارحه، وعَظُم افتقارُه لمولاه، والتجاؤه إليه، وتضرّعه بين يديه".[1]

ويقول الشيخ كذلك: "اِخلعْ ثياب تَوانيك في حقوق الله –عزّ وجلّ–، اخلع ثياب وقوفك مع الخَلق وشركك بهم، اخلع ثياب الشهوات والرّعونات والعُجب والنّفاق، وحبّك للقبول عند الخَلق، وإقبالهم عليك وعطاياهم لك... انخلع من حولك وقوّتك وجودك، واستطرح بين يدي الحق –عزّ وجلّ– بلا حول ولا قوة ولا وقوف مع سبب، ولا شرك بشيء من المخلوقات، فإذا فعلتَ هذا رأيتَ من ألطافه حواليك تأتيك؛ رحمته تجمعك ونعمته ومِنّته تكسوك وتضمّك إليها، اهرب إليه انقطع إليه بلا أنت ولا غيرك..."[2]

فمِن كمالِ ربوبيّته –تبارك وتعالى– أنّه الصّمدُ الذي تقصده الخَلائق في حوائجها، وأنه الغنيّ عن جميع مخلوقاته وعبادُه فقراءُ إليه، وأنه القويُّ عنهم وهم ضُعفاءُ بين يديْه، لا حول ولا قوة لهم إلّا به، وأنه العزيزُ وهم أذلّةٌ بين يديه إذا شاء أعزّهم به.

يقول المولى –عزّ وجلّ–:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:15]. وقد تجسّدت هذه المعاني في قول الشيخ عبد القادر أعلاه؛ فكأنه يؤكّد على اسم الله الغنيّ والصمد والقويّ –تبارك وتعالى–.

"فالله تبارك وتعالى هو الغني، الذي استغنى عن الخلق كلهم بقدرته وعزّ سلطانه، الكامل سبحانه بما له وعنده، فلا يحتاج معه إلى غيره، الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً، والخلق كلهم فقراء إليه، وإلى فضله وإحسانه... وهو سبحانه الغني الذي أغنى جميع الخلق غنىً مطلقاً، المغني لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من الإيمان، ومعرفة جلاله وجماله وآلائه.

[1]– خالد بن عبد الرحمن الحسينان، هكذا كان الصالحون، دط، مركز الفجر للإعلام، دم، 1430هـ– 2009م، ص37.

[2]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص42.

وهو سبحانه الغنيّ بذاته، والعبد فقير لذاته، وهو محتاج إلى ربّه، لا غنى له عنه ولو طرفة عين، وحاجة العبد إلى ربه لذاته، لا لِعلّة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غِنى الرب سبحانه لذاته، لا لأمرٍ أوجبَ غِناه، والفقير بذاته محتاجٌ على الدوام إلى الغني بذاته".[1]

والله كذلك هو الصمد، "الذي تصمد إليه الخلائق؛ أي تلجأ إليه، وهو المقصود في الرّغائب، المستَغاث به عند المصائب، والمفزوع إليه وقت النّوائب... أحاطَك بالاحتياجات لتُحيط نفسَك بأسمائه وصفاته، في كل لحظات حياتك أنتَ بحاجة إليه، فإن لم ترجع إليه اختيارًا رجعتَ إليه اضطرارًا".[2]

يقول الشيخ عبد القادر: "الخَلق يقضون حوائجك يومًا أو اثنين أو ثلاثة أو شهرا أو سنة أو سنتين، وفي الآخرة يضجرون منك، عليك بصحبة الحق –عزّ وجلّ– وإنزال حوائجك به فإنه لا يضجر منك ولا يسأم من حوائجك دنيا وآخرة"[3]، ويضيف –رحمه الله–: "هو الغنيّ وغيرُه الفقير، دأبُه العطاء ودأبُ غيرِه المنع، ارجع بحوائجك إليه فإنه أولى من غيره".[4]

وها هو الدكتور علي بن جابر الفيفي يذكّرنا بمعانٍ راقية جدًّا في ظلال الصّمدية لعلّنا نُعيد بها بَوْصلتَنا إلى الجادّة المستقيمة، فيقول: "لماذا ننتظر جائحة تردّنا إليه؟ ومصيبة تُذكّرنا باسمه؟ وكارثة نعود بها إلى المسجد؟ ألَا يستحقّ أن نخضع ونلجأ إليه دون جوائحَ وكوارث ومصائب؟ هل كلّ ما أعطانا إيّاه من حياةٍ وصحّةٍ وإيمانٍ وأمانٍ وسعادة قليلٌ حتى لا نُنكّس رؤوسنا إليه إلّا بِبليّة تنسينا كل أوهامنا، ولا يبقى في عقولنا معها إلّا الله؟! عدّل بوصلة قلبك باتّجاهِه ثمّ سِر إليه ولو حَبْوًا على ركبتيك وستَصِلْ. إذا التجأت لفلان من الناس صباحًا قد يغلق بابه دونك في المساء، إذا أعطاك اليوم فسوف يمنعك في الغد، أمّا الله.. فلا!

---

[1]– مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج1/ ص290، 291.

[2]– علي بن جابر الفيفي، لأنّكَ الله رحلة إلى السماء السابعة، ط1، دار الحضارة للنشر والتوزيع، دم، دت، ص14، 15.

[3]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص188.

[4]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص134.

يُعطي بالليل والنهار، ينصرك على الجميع إن كنتَ مظلومًا، لا يُغلق بابه، أكرم الأكرمين، لذلك تصمد إليه كل الخلائق، فإذا جرّبتَ أن تصمد إلى غيره في حاجة رجعتَ خائبًا، ولا بدّ".[1]

فالمؤمن إذا أدرك هذه المعاني وتحقّق بها؛ فلم يصمد ولم يفتقر ولم يتذلّل إلّا لله الواحد الأحد الصمد، استغنى عن كل ما سوى الله، وقُضِيَت حوائجه وأغناهُ الغنيّ به سبحانه وتعالى، كما أن الصمود لله وحده والافتقار إليه من تجلّيات الإخلاص في العبادة.

وهنا يكمن المضمون التربوي للإيمان بأسماء الله وصفاته؛ إذْ تتجلّى فيه المعاني العملية للعقيدة والتي نحن في أمَسّ الحاجة لإحيائها في قلوبنا وسلوكاتنا، لتستقيمَ حياتُنا ونَنالَ طمأنينةَ قلوبِنا وراحتَها، خاصّة في واقعنا المعاصِر المَليء بالأمراض النفسية والعصبية والخُلُقية.

ب- على مستوى المجتمع:

للعلمِ بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى وفهمِ معانيها ثمرات تربوية تحصل على مستوى العلاقات الاجتماعية، نذكر من بين هذه الثمرات:

1- الحفاظ على الأنفس والأموال والأعراض:

فالإيمان بأن الله مالك المُلك، الرّزاق، له المُلك كُلّه والرزقُ كلّه بيده -تبارك وتعالى- يدفع المؤمنين إلى المحافظة على أنفسهم وأموالهم.

"فعندما يذكر المؤمن ربّه باسمه مالك الملك، يتلاشى شعوره بالقدرة على تحقيق ما يريده لنفسه أو لغيره من خير أو شرّ، ولا يسعه إلّا أن ينكر ذاتَه من حيث هي ذاتٌ مالكةٌ لِما معها من عِلم أو مال، وغير ذلك ممّا يقع تحت يده وتصرّفه، ويشهد عن يقين بأنّ المالك لكلّ شيء هو الله -عزّ وجلّ-، وأنه مملوك من مماليكه خاضعٌ كلَّ الخضوع لإرادته وقدرته...

والله تعالى وحده هو مالك المُلك، يهَب ما شاء لمن شاء، وكيف شاء، ومتى شاء، وأين شاء، لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه، ولا قدرة لمخلوق مع قدرته، فلا ينبغي لأحد أن يدّعي لنفسه شيئا في ملك الله إلّا على سبيل المجاز".[2]

---

[1]- علي بن جابر الفيفي، لأنك الله رحلة إلى السماء السابعة، المرجع السابق، ص21، 22.

[2]- محمّد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، المرجع السابق، ص332، 333.

لذلك يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُوتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].

ويقول كذلك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1].

كما يقول –عزّ وجلّ-:﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 53].

يقول الشيخ: "جميع ما عندكم من النّعم من الله –عزّ وجلّ-، فاستعينوا بها على الطّاعة".[1]

فالإيمان بمالكِ المُلك يقتضي: أن يُقابِل المؤمنون نِعمَ الله التي أنعمها عليهم، ومُلكَه الذي أعطاهم بحفظه وعدم بذله فيما لا يُرضيه تعالى؛ "فهو يغرس خوف الله وخشيته في القلوب، ويردع النفوس عن الإفساد في الأرض، فتُحفَظ النفوس والأموال بذلك، وتُحفَظ من ناحية أخرى بسبب عدم بذلها في مسار يُضيّعها، فأهل الجاهلية كانوا ولا يزالون يبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل آلهة باطلة لا تضر، ولا تنفع، ولا تزال مئات الملايين إلى اليوم تذهب في كل عام في سبيل المعتقدات الباطلة، والذي يؤمن بالله -تبارك وتعالى- ويعلم أن المال مال الله –عزّ وجلّ- وحينما يقوم هذا المعتقد في القلب لن يخرج الإنسان مالًا إلا إذا كان ابتغاء وجه الله -تبارك وتعالى- لأنه يعلم أنه مُستخلَف في هذا المال، وأنه ليس فيه حق التصرف كما يشاء، بل له حق التصرف في حدود ما شرعه الله -سبحانه وتعالى- وبيّنه له".[2]

وبهذا تُحفَظ نفوس المسلمين وأموالهم، وتَكثُر الصّدقات بينهم وتَعُمّ الخيرات.

2- سواد العدل والمساواة:

يساهم العلمُ بأسماء الله تعالى وصفاته -خاصة اسميْه "الحَكَمُ العدْل"- والعملُ بهما في سواد العدْل والمساواة بين أفراد المجتمع؛ فالمولى –جلّ شأنُه- هو "الحَكَمُ الذي يفصِل بين الحقّ والباطل بحكمه العادل، المُجازي كلَّ نفس بما كسبت... وهو الذي يُنصِف المظلوم من الظّالم من غير توانٍ ولا إهمال"[3]، يقول تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: 8]،

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص77.

[2]- مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول الدعوة وطرقها 4، المرجع السابق، ص174،173، 175، 176.

[3]- مُحَمَّد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، المرجع السابق، ص111.

وهو العدْل سبحانه وتعالى، "مَن تمّت عدالته ومضى في الخليقة حكمه، وقامت السماوات والأرض وما بينهما على ميزانه الدّقيق المُحكَم".[1] وإذا أدرك المؤمنون هذه المعاني وتحقّقوا بها فلم يتصرّفوا إلّا بالحكمة والعدْل، ولم يحكموا بينهم إلّا بما يوافق حكم الله تعالى، ساد العدل والمساواة في المجتمع.

يقول الشيخ –رحمه الله-: "كلّ من يصلح قلبه لله –عزّ وجلّ- ويكون معه في الدنيا والآخرة يحكم بين العوام والخواص بحكم الله –عزّ وجلّ-".[2] إذْ قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: 114]، وقال أيضًا: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: 12].

والأمة الإسلامية اليوم –لتحقيق التّمكين والرّيادة- بحاجة إلى الحكم بقوانين الإسلام التي شرعها الله تعالى، واستبعاد القوانين المستوردة من الغرب، التي ساهمت في نشر الفساد والظلم بين العباد.

والأجدرُ بالمؤمنين كخلائفَ لله في الأرض أن يرثوا من اسمه "الحكَم العدْل"؛ فيَسْعَوا إلى تحقيقه والتّحقّق به في علاقاتهم ومعاملاتهم؛ فيعدل الأب بين أبنائه، ويعدل الزوج، ويعدل ربّ العمل بين موظَّفيه، ويعدل المعلّم بين طلّابه، ويحكم الحاكم ووليّ الأمر بالعدل بين رعيّته...

فالإسلام قائم على العدل والمساواة ورفع الظلم عن المستضعفين؛ إذ جاء فقضى على الاستعباد والطبقية بين المسلمين، فأمرَ اللهُ تعالى بالعدل وقال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

كما أنّ "العدل أحد قواعد الدين والدنيا، الذي لا انتظام لهما إلّا به، ولا صلاح لهما إلا معه، وهو الداعي إلى الألفة، والباعث على الطاعة، وبالعدل تنمو الأموال، وتُعمّر البلاد".[3]

---

[1]- مُحَمَّد بكر إسماعيل، المرجع نفسه، ص113.

[2]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص76.

[3]- مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج3/ ص2717.

3- اتّباع شرع الله ومراعاة حدوده:

كما أن من الآثار التربوية للإيمان بالأسماء والصّفات: اتّباع شرع الله ومراعاة حدوده في العلاقات والمعاملات الاجتماعية.

يقول الشيخ عبد القادر –رحمة الله عليه-: "القومُ يقومون بنيّاتهم على العبادة ويحصنون فروجهم من كيد الشيطان ومكرِه، يمتثلون في ذلك أمر ربهم –عزّ وجلّ- ويتّبعون سنّة نبيّهم –ﷺ-، كل شغلهم في امتثال الأوامر واتّباع السنة".[1]

فحين أدرك المؤمنون الصالحون عظمةَ الله وقدرتَه وعِلمَه ورقابتَه، استحضروا وجودَه تعالى في جميع أحوالهم؛ فخَشوه في خلواتهم، واتّبعوا شرعَه تعالى في معاملاتهم، وهذا ما يصلح جميع العلاقات بينهم.

كما أوصى –رحمه الله-: "أعطِ الربوبية حقّها... اشتغل بطاعته، عليك بموافقة الشرع في جميع أحوالك".[2] فالامتثال لشرع الله ومراعاة حدوده هو علامة على الخضوع لربوبية المولى –عزّ وجلّ-؛ إذْ أنّ إيمانك بكونه تعالى متفرّد بربوبيّته يقتضي امتثالك لشرعه ومراعاتك لحدوده التي وضَعها؛ ويكون هذا الخضوع والامتثال في علاقة الزوج في بيته مع زوجته وأولاده، وعلاقة المدير في العمل مع موظّفيه، وعلاقة التاجر في تجارته مع زبائنه، وعلاقة وليّ الأمر مع رعيّته؛ فإيمان هؤلاء بالله تعالى وجميعِ أسمائه وصفاته يجعلهم يخافونه أينما حلّوا ويمتثلون لشرعه ويطبّقونه في جميع معاملاتهم –صغيرها وكبيرها-. فقال –رحمه الله- كذلك: "اجعل دكّانك ومالك لعيالك تكسب لهم بأمر الشرع، ويكون قلبك متوكّلًا على الله –عزّ وجلّ-".[3]

وهذه بعض تجلّيات اتّباع شرع الله ومراعاة حدوده تعالى في العلاقات الاجتماعية: قيام ربّ الأسرة بواجباته تجاه أفراد أسرته وتولّي شؤونهم المادية والمعنوية، وحسن معاشرتهم، وتربية أبنائه تربية إسلامية محمّديّة، وصلة الأرحام، وعيادة المرضى، السماحة والعفو، وحفظ العهود، وإيفاء المكاييل، وأداء الأمانات إلى أهلها، حفظ الأعراض والأموال، والعدل في تطبيق القوانين على الرّعيّة...

---

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص133.

[2]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص130.

[3]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص131.

وكلها ثمرات للإيمان بصفات الجلال والقوة والعلم للمولى –تبارك وتعالى–.

هذه كانت بعض الثمرات التربوية للإيمان بالله على النفس والمجتمع، والتي تمكّنت من استقرائها من بعض مجالس الفتح الرّباني للشيخ عبد القادر الجيلاني، وغيرها الكثير لا يسعنا المقام لتناولها جميعا.

الفرع الرابع: الإيمان بالإرادة الإلهية:

تُعتَبر الإرادةُ من صفات الله الذّاتيّة، وارتأينا الإشارةَ إليها باعتبارها مدخلًا لمبحث القضاء والقدر في باب الإلهيات؛ إذْ هو جزء لا يتجزّأ منها؛ فالحديث عن الإرادة الإلهية يشمل الحديث عن قضاء الله وقدره، لذا سنكتفي بتعريفها والاستدلال عليها فقط، وسيكون التفصيل في المطلب الثاني للإيمان بالقضاء والقدر.

ونعرّف"الاعتقاد بإرادة الله تعالى: هو أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بالإرادة؛ وأنه مُريدٌ لا يقع شيء إلا بإرادته، فأيّ شيء أراده كان، وأيّ شيء لم يُرِده فإنه لا يمكن أن يكون.

وهي صفة أزليّة قائمة بذاته تعالى، ودليل ثبوتها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]".[1]

ومن السنة ما رواه البخاري في صحيحه: "حدّثنا سليمان بن حرب: حدّثنا حماد، عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي –ﷺ– قال: **"وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ :أيْ ربِّ، ذكر أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الْأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ"**.[2]

والشاهد في الحديث: "إذا أراد الله أن يقضي خلقها"؛ أي أن لله إرادة ومشيئة في أن يخلق في الأرحام الذكر والأنثى.

---

[1]– عبد العزيز عز الدين السيروان، الإيمان أركانه– دلائله– ثمراته شرح الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية للشيخ الطاهر الجزائري، المرجع السابق، ص47.

[2]– أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب القدر، حديث رقم6222، المرجع السابق، ج6/ ص2433.

المطلب الثاني: الثمرات التربوية للإيمان بالقضاء والقدر (على مستوى النفس والمجتمع):

يُعتَبَر انعدامُ الإيمان بقضاء الله وقدره في النفوس من أهم أسباب انتشار الأزمات النفسية، كالاكتئاب والقلق المؤدّيان إلى الانتحار، واللّجوء إلى السحر والشعوذة، لذا فالإنسانية –فردا وجماعة– بحاجة إلى إحياء عقيدة القضاء والقدَر فيها لتصِل إلى الراحة والطمأنينة والسكينة، ومنه إلى النصر والتمكين.

وسأتطرّق في هذا المطلب إلى الثمرات التربوية للإيمان بالقضاء والقدر باعتباره مبحثًا من مباحث الإلهيات.

الفرع الأول: تعريف القضاء والقدر، والاستدلال عليه والتمثيل له:

أولًا: تعريف القضاء والقدر:

ويُعَرَّف القضاء والقدر:

القضاء في اللغة: جاء في لسان العرب: مصدر قضى: وهو الحكم، يُقال: قضى يقضي قضاءً، فهو قاضٍ، إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء: إحكامُه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخَلق. وقال الزّهريّ: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكلُّ ما أُحكِم عملُه أو أُتِمّ أو خُتِم، أو أُدِّي أداءً أو أوجِب أو أُعلِم أو أُنفذ أو أُمضِي، فقد قُضِي.[1]

والقدر في اللغة: القدر: القضاءُ المَوَفّق، يُقال: قدّر الإله كذا تقديرًا، وإذا وافق الشيءُ الشيءَ قلتُ: جاءه قدَرُه، ويقول ابن سيده: القدْر والقدَر القضاءُ والحكم، وهو ما يقدّره الله –عز وجل– من القضاء ويحكُم به من الأمور. وقدَرَ الرّزقَ يقدُرُه: قَسَمه.[2]

يظهر من التعاريف اللغوية للقضاء والقدر أنهما يفيدان معنى واحدًا وهو الحكم.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص3665.

[2]– ابن منظور، المرجع نفسه، ص3545، 3546.

أما عن **التعريف الشرعي للقضاء والقدر** فيذكر عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، ناقلًا عن الإمام أبي الحسن الأشعري وجمهور أهل السنة:

"القضاء: إرادة الله الأزلية المتعلّقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه في وجودها الحادث، كإرادته تعالى بخَلق الإنسان في الأرض.

القدر: إيجاد الله الأشياء على مقاديرها المحدّدة بالقضاء في ذواتها وصفاتها، وأفعالها وأحوالها، وأزمنتها وأمكنتها وأسبابها. كإيجاد الله الإنسان فعلًا على وجه الأرض طبق ما سبق في قضائه سبحانه".[1]

ويتبيّن من هذا التعريف أن القضاء هو علم الله بخَلق الأشياء أو تقسيم الأرزاق، والقدر هو كل ما يصيب الإنسان ويحدث في كون الله، وفق علم الله تعالى.

والإيمان بالقضاء والقدر هو: التصديق الجازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يَكُن، وأنّ ما أصاب الإنسان لم يكُن لِيُخطئه وما أخطأه لم يكُن لِيُصيبه.[2]

وقد جاءت النصوص القرآنية والنبوية دالّة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، فأشار القرآن الكريم للقضاء والقدر في مواضع عدّة، نذكر منها قوله تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49]، وسبق وأشرنا في المبحث الأول إلى معنى هذه الآية، فيقول ابن كثير: "وقوله تعالى: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ" كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:2]، وكقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الْأَعْلَى: 1-3]؛ أيْ قدَّر قدَرًا وهدى الخلائق إليه، ولهذا يستدِلُّ بهذه الآية الكريمة أئمَّة السّنَّة على إثبات قدر اللَّه السابق لخَلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكِتابته لها قبل بُرْئِهَا".[3]

كما جاء في السنة النبوية دليل وجوب الإيمان بقضاء الله وقدره خيره وشره، وذلك في حديث جبريل السابق الذِّكر، "حدّثنا أبو خَيْثمة زهير بن حرب، حدّثنا وكيع، عن كَهْمَس، عن عبد

[1] – عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ص729.

[2] – عبد الله بن جار الله آل جار الله، الإسلام والإيمان والإحسان، دط، دم، دت، ص17.

[3] – ابن كثير، المرجع السابق، ج7/ ص446.

الله بن بُرَيْدة، عن يحيى بن يعمر، وحدّثنا عُبيْد الله بن معاذ العنبري، حدّثنا أبي، قال: كان أول من قال في القدَر بالبصرة مَعبد الجُهنيّ، فانطلقتُ أنا وحمُيْد بن عبد الرحمن الحِمْيَري حاجّين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله –ﷺ– فسألناه عمّا يقول هؤلاء في القدَر، فوُفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطّاب...قال: لوْ أن لأحَدهم مثل أُحُدٍ ذهبًا فأنفقه، ما قبِل الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدّثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله –ﷺ– ذات يوم، إذْ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثّياب، شديدُ سوادِ الشّعر... قال: فأخبرني عن الإيمان. **قال:"أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدَر خيرِه وشرّه" قال: صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان. قال: "أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكُن تراه، فإنه يراك"**...[1]

فدلّ الحديث على وجوب الإيمان بقدر الله خيرِه وشرّه، ومن اعترض عليه فقد نافى كمال الإيمان.

ثانيًا: التمثيل للقضاء والقدر:

لقد كتب اللهُ –سبحانه وتعالى– أقدارَ الناس قبل أن يخلقهم؛ أعمارهم، أرزاقهم، أعمالهم و ذرّياتهم، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:96]... وقدر لكل واحد أشقيّ أم سعيد، ورغم أنه زوّده بالحواس والإدراك والعقل إلا أنه "محكوم في كثير من الأشياء التي تجري عليه أو تحدُث في وجوده بسلطة القضاء والقدر، دون أن يكون له فيها أيّ تأثير ودون أن يملك لها تصريفًا أو تحريكًا...كالحياة والموت، والنّمو والضّعف، والصّحّة والمرض، والشّيب والهرم، ودورة الدم وخفق الفؤاد، والاضطرابات والرعشات، والحبّ والكره..."[2] والفقر والغِنى، والزلازل، والأزمات الإنسانية والحضارية التي هي سنن الله في خَلقه، وبعض الموانع والعقبات التي قد تعترض الإنسان، كلّها تجلّيات لقضاء الله وقدره على عباده.

[1] – أخرجه مسلم، صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تعالى، حديث رقم8، المرجع السابق، ج1/ ص36.

[2] – عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ص739.

الفرع الثاني: اعتراض الإنسان على قضاء الله وقدَره:

ولكن الإنسان في كثير من الأحيان ينزعج من قضاء الله وقدَره ويعترض عليه، لضعفِه وعجزه وربّما لجهله وقلة إيمانه، فيقنط من رحمة الله، ما يسبّب له أمراضًا مختلفة هي أمراض العصر منها: (أمراض نفسية كالاكتئاب، عصبية كالقلق، جسدية كداء السكّري، الضغط الدموي، وحتى أمراض القلوب كالحسد والحقد؛ فإذا لم يكن الإنسان مؤمنا بقدر الله وما قسمه له، يحسِد غيره على ما عندهم من أرزاق ويحقد عليهم، ما يولّد لديه الشعور بالكره تجاههم، وقد يلجأ إلى طرق غير محمودة ومؤذية لِيعبّر عن حسده وحقده وكرهه)، والحسد مرض إبليسيّ عُضال؛ إذْ أن إبليس هو أول مَن حسد آدم -عليه السلام- على ما فضّله الله عليه فاستكبر وعصى الله، "وهو في حقيقته اعتراض على قدر الله؛ لأن الحاسد لم يرضَ بقضاء الله ولم يُسلّم لقدره —عز وجلّ-، فلسانُ حالِه يقول: إن فُلانًا أعطِي وهو لا يستحقّ، وفُلانًا مُنِع وهو يستحق العطاء. فكأنّه بحسده هذا يقسم رحمة ربه بين العباد، وكأنه يقترح على ربّه ما يراه ملائمًا في نظره، فهو بصنيعه هذا يقدح في حكمة الله —عزّ وجلّ- ووضعِه الأشياءَ في مواضعها اللّائقة بها".[1]

ويذكر الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم الحَمَد: "من صور الاعتراض على الأقدار قولُ بعضِهم إذا أصيب بمصيبة ماذا فعلتُ يا ربِّ؟ وأنا لا أستحقّ ذلك! وكذلك ما يُقال: فلان مسكين لا يستحقّ ما جرى له، لقد ظلمَته الأقدار، وجارت في حقّه وقست عليه، فمثل تلك الأقوال مما يكثر على الألسنة، هي من الاعتراض على قدَر الله، ومن الجهل بحكمته —عزّ وجلّ- فلا يجوز إطلاقها، لأن لله ما أخذ وله ما أعطى، وله الحكمة البالغة في شرعه وخَلقه وفعله، ﴿لاَيُسْـَٔلُ عَمَّايَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 23].[2]

---

[1]- مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، الإيمان بالقضاء والقدر، تقديم: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، ط2،دار الوطن للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1416هـ، ص158.

[2]- مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، المرجع نفسه، ص155.

ومن صور الاعتراض على أقدار الله كذلك" فعلُ بعض الجهّال عند المصيبة من شقّ الجيوب، ولَطْم الخدود والنّياحة، وحَلْق الشعر، والدّعاء بالويل والثّبور[1]... وكذا الإقدام على الانتحار؛ فهناك مَن إذا ضاقته الغموم، وحضَرت رحلَه الهمومُ، ولم يجِد من كَربه مُتنفّسًا، ولا من مضايقه مَخرجًا، أقدَم على قتل نفسه؛ رغبة في الخَلاص من الدّنيا، والرّاحة من عنائها ولأْوائها، إضافة إلى التّسخّط بالبنات والتشاؤم منهن؛ فهناك مَن إذا رزقه الله بنتًا تسخّط بها وضاق ذرعًا بمقدَمها... وغير ذلك من أعمال الجاهلية الأولى التي تنافي الإيمان بالقدر والتسليم لله –عز وجلّ–[2].

– بيان أن عجز الإنسان وضعفه طبيعي باعتبار خِلقته:

وكل هذا بسبب ضعف الإنسان وعجزه أمام قضاء الله وقدره وابتلاءاته، باعتبار أصل خِلقته لقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء:28]، فيتجسّد ضعفُه الفطريّ الطّبيعي في انحرافاتِه (فكرًا وفعلًا وسلوكًا) وجهلِه، ولا بدّ أن يعالج ويقوّي ضعفَه بأن يستنير بنور عبوديّته لله، ويتحقّق بالإيمان به والتسليم له.

والأحرى بالمؤمن أن يواجه أقدارَ الله وابتلاءاتِه بصبرٍ واحتساب، ورضًا وتسليمٍ كامل بحكمة الله، وثقة تامّة بعدله وعلمه، بعد أن يعتقد في قلبه ويستحضر في ذهنه: "أن الله تعالى فعّال لِما يُريد، وأنه لا يُسأل عمّا يفعل، وأنه حكيم لا يعبث، وأنه عادل لا يظلم، وأنه غفور رحيم، وأن له الأولى والآخِرة، وأن الكلّ عبيد له، ناصيتهم بيده، له الخَلق والأمر والحكم جميعا".[3] ويستمع بقلبٍ واعٍ إلى قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: 22].

---

[1]– مُحَمَّد بن أبي بكر ابن القيّم الجوزية، عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص131– 139 و325، نقلًا عن: مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، الإيمان بالقضاء والقدر، المرجع السابق، ص157.

[2]– مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، الإيمان بالقضاء والقدر، المرجع السابق، ص159، 160.

[3]– مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع أصوله وفروعه مقتضياته ونواقضه، ط2، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، جامعة القاهرة، 1410هـ، 1990م، ص307.

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني –رحمه الله–: "يا غلام، لا تشكُ من الخالق إلى الخَلق، بل اشكُ إليه هو الذي يقدر أما غيره فلا، من كنوز البِرّ كتمان السر والمصائب والأمراض".[1]

وقد جاء في حديث رُوي عن الوليد بن عُبادة في مسند الإمام أحمد، "حدّثنا أبو العلاء الحَسن بن سَوّار، حدّثنا ليث، عن معاوية، عن أيوب بن زياد، حدّثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة، حدّثني أبي قال: دخلتُ على عُبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلتُ: يا أبتاه أوصِني واجتهِد لي، فقال: أجلسوني، فلمّا أجلسوهُ قال: يا بنيّ إنك لن تطعم طعمَ الإيمان، ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدَر خيره وشرّه، قلتُ: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خيرُ القدَر من شرّه؟ قال: **تعلَم أن ما أخطَأك لم يكُن لِيُصيبك، وما أصابك لم يكُن ليُخطئك.** يابنيّ إني سمعتُ رسول الله –ﷺ– يقول: **"إن أوّل ما خَلق الله القلم، ثم قال: اُكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة".**[2]

"ولابدّ أن تؤمن بحكمة ربّك في كل ما يُجريه عليك، سواء أكان نعيمًا أو بؤسًا، فإن أصابك مرض أقعَدك في بيتك فقُل: ماذا حدث خارج البيت، أبعدني الله وعافاني منه؟ فلعلّ الخير فيما تظنّه شرًّا كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 216].

فالابتلاءات لها مغانِم ومن ورائها حِكم؛ لأنها ناشئة وجارية عليك بحكمة ربّك وخالقك، وليست من سعيِك ولا من عمل يدك، وما دامت كذلك فارْضَ بها واعبد الله بإخلاص وإيمان ثابت في الخير والشرّ".[3] فمقياس حقيقة الإيمان يكمن في مدى الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره.

---

[1]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص23.

[2]– أخرجه أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث رقم: 22705، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م، ج37/ ص378، 379.

[3]– مُحَمَّد متولّي الشعراوي، تفسير الشعراوي، دط، مطابع أخبار اليوم، دم، 1997م، ج16/ ص9725، 9726.

الفرع الثالث: الثمرات التربوية لعقيدة القضاء والقدَر:

لذا فإن الحلّ والعلاج لأزمات الإنسان المعاصِر (النفسية والعصبية والجسدية، وحتى الحضارية) هو الرضا بقضاء الله وقدره، وبيان ثمراته على النفس والمجتمع:

"يتوهم البعض أن الإيمان بالقضاء والقدر هو الجَبر بعينه، أو هو ترك للأسباب أو هو تواكل لا تُرجى ثماره، وأن عقيدة القضاء والقدر ما تمكّنت من نفوس قومٍ إلّا وسلبتهم الهمة والقوة وحكمت فيهم الضعف والضَّعة، وهذا ما ينتج عنه تأخر في كل الميادين سياسية واقتصادية واجتماعية".[1]

بل على العكس تماما، "فعقيدة القضاء والقدَر التي جاء بها الإسلام مبرّأة من التّخاذل والكسل والخمول الذي أصاب قطاعًا كبيرًا من الأمة الإسلامية عبر العصور باسم القضاء والقدر، والمسؤول عن ذلك هو انحراف المسلمين في باب القدر؛ حيث لم يفقهوه على وجهه".[2]

ولِعقيدة القضاء والقدر ثمرات تربوية شتّى أصلحت وربّت الفرد والمجتمع، وقد عدّدها كثير من علماء المسلمين وتحدّثوا عنها أمثال الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، والدكتور عمر سليمان الأشقر وغيرهما، وسنحاول استقراءَ بعضِها من مجالس الشيخ عبد القادر الجيلاني –رحمه الله– في الفتح الرباني:

---

[1]– جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى ط1 ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1980، ص90. نقلًا عن: معمر قول، فقه الإيمان عند بديع الزمان سعيد النورسي دراسة تحليلية في ضوء رسائل النور، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، 1424–1425هـ، ص182.

[2]– عمر سليمان عبد الله الأشقر، سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، القضاء والقدر، ط13، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1425هـ– 2005م، ص109.

أ- على مستوى النفس: الإيمان بقضاء الله وقدَره له بُعد تربوي على مستوى سلوك الفرد وقلبه وروحه.

1- ومن ثمراته حُسن التوكل والرضا:

يقول الشيخ عبد القادر في المجلس الأول: "الاعتراض على الحق –عز وجل- عند نزول الأقدار موت الدين موت التوحيد، موت التوكّل والإخلاص".[1] فبِمفهوم المخالفة: الرضا بقضاء الله وقدر والتسليم له يُحيي التوحيد ويُحيي التوكّل في قلب المؤمن. ويقول تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾ [المائدة: 25]، "فالتوكّل على الله عبادة يجب إخلاصه له تعالى، وصرفه لغيره شرك ينافي التوحيد".[2] فإذا كان المؤمن مؤمنًا بالله تعالى ومصدّقا به إيمانًا وتصديقًا جازما، لا يعتمد إلا عليه وحده في جميع أموره.

والتوكّل معناه: الاعتماد والتوكّل على الله في جميع الأمور من جلب المنافع ودفع المضارّ[3]، ومنه استسلام القلب لله والانقطاع عمّا سواه؛ بأن يكون العبد بين يديْ الله كالميّت بين يديْ الغاسل، يقلّبه كيف أراد ولا يمتنع منه، ولا يكون له حركة ولا تدبير، بل يستسلم لتدبير الله (وهذا في باب القضاء والقدَر)،[4] فإذا سلّم العبد أمره ووكّله إلى ربه دون اعتراض تَحقّق بمعنى التوكّل، ولنا في قصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام- أسوة حسنة؛ يذكرها الشيخ عبد القادر فيقول: "فأنه خرج عن نفسه وبقي بلا هوى يجري وقلبه ساكن، جاءه أنواع من المخلوقات وعرضوا نفوسهم عليه في معاونته وهو يقول: لا أريد معونتكم، عِلمُه بحالي يُغنيني عن سؤالي، لمّا صحّ تسليمه وتوكّله قيل للنار "كوني بَرْدا وسلامًا عَلَى إِبْراهِيمَ".[5]

فكيف لِمن يؤمن بالله الواحد القادر العظيم وبكمال ربوبيته، أن يعترِض على أقداره تعالى، فاعتراضه يُحدِث خَللًا في الإيمان؛ إذْ أنّ الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، وإذا آمن الإنسان بقضاء الله وقدره خيره وشرّه وأحسَن التوكّل عليه، وتحقّق بمعنى الله الخالق، الرازق،

---

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص6.

[2]- عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله، التوكل على الله وأثره في حياة المسلم، دط، دم، دت، ص33.

[3]- عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله، المرجع نفسه، ص33.

[4]- مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج2/ ص1856.

[5]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص6.

النافع، الضّار، الشافي، المعافي...تحقّق له تمام الرضا بما قسمه الله له، والتوكّل الحقيقي هو من مقام الرّضا. والرضا ثمرة عظيمة من غراس الإيمان بالقضاء والقدر، لا يصِل إليها إلّا من آمن بقضاء الله وقدَره، فتُحقّق له السكينة النفسية، وتُحقّق له اليقين التامّ أن: ﴿ ٱلذِے خَلَقَنِے فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالذِے هُوَ يُطْعِمُنِے وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالذِے يُمِيتُنِے ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: 78-81].

والرضا بالقضاء والقدَر لا يتنافى إطلاقا مع السعي والتطلّع للأفضل، والتقدّم وتحسين المعيشة، فالشّرع دعانا للأخذ بالأسباب والاجتهاد في طلب الرزق، يقول تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:32]، ويقول كذلك: ﴿هُوَ ٱلذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلاَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُواْ فِے مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: 15].

"فالإيمان بالقدر حافز قوي للإيجابية والعمل، والأخذ بالأسباب والتوكّل على الله مسبّب الأسباب، مع التّجافي عن التّواكل والخمول والقعود".[1]

جاء في الأربعين النووية: "عن أبي العباس عبد الله بن عباس –رضي الله تعالى عنهما– قال: كنت خلف النبي –ﷺ– يوما، فقال: **يا غلام إني أعلّمك كلمات: اِحفظ الله يحفظك، اِحفظ الله تجِده تّجاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله، واِعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجَفّت الصحف.** رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح."[2]

فقد كُتِب ما كُتِب من الأقدار في اللّوح المحفوظ، ولو كَتب اللهُ أن يصِل للمؤمن رزقٌ ما، سيصِله ولو اجتمع الإنس والجن على أن يحولوا دونه، وإذا اعتقد المؤمن بهذا تخلّى قلبُه عمّا سوى الله، ورضي بما قسمه الله فلا يتوكّل إلا على الله، ولا يطلب رزقه إلا من الله وحده.

[1]– عبد الله الشرقاوي، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، المرجع السابق، ص320.

[2]– أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، الأربعون النووية، حديث رقم 19، تح: قصي محمّد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، ط1، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1430هـ، 2009م، ص71، 72.

فيقول الشيخ عبد القادر –رحمه الله– في هذا المقام: "عليك بالصبر على الآفات والتوكل على الله –عز وجل– في جميع الحالات...فبِالصبر تظفر بما تريد من ربّك –عز وجل–، وبالتوكّل تخرج الأشياء من قلبك وتتعلّق بربّك –عز وجل–، وتتنحّى عنك الدنيا والآخرة وما سوى المولى، تأتيك الراحة من كل جانب، والكلاءة[1] والحماية من كل جانب، يحفظك مولاك –عز وجل– من جهاتك الستّ، لا يبقى لأحد من الخَلقِ عليك سبيل، يسدّ عنك الجهات ويغلق عنك الأبواب، فتصير من جملة الذين قال الله عز وجل– في حقّهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:42].[2]

فكأنّ الشيخَ عبد القادر يتحدّثُ عن معاني حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–؛ أي إذا تحقّق بها المؤمن فحسُن توكّله على الله تجرّد قلبُه وزهد عمّا سوى الله، واطمأنّ وارتاح باله بشأن رزقه وقسمته، ثم يحفظه الحفيظ –تبارك وتعالى– بحفظه ويحيطه برعايته من كل ما قد يؤذيه.

أمّا عن الرّضا فسبق وذكرنا أن التوكّل الحقيقي يوصِل إليه، ويقول الشيخ–رحمه الله–: " اقنع فإن القناعة كنز لا ينفذ، كيف تطلب ما لا يقسم لك ولا يقع بيدك قط، امنع نفسك وارضَ به".[3] فمن كان مؤمنا بقضاء الله وقدره نال القناعة والرضا بما قسمه الله له.

ويقول الدكتور عبد الله الشرقاوي: "والإيمان بالقدر يجعل المؤمن راضيًا، فهو مأمور إذا أصابته مصيبة مقدّرة أن ينظر إلى القدر ولا يتحسّر بتقدير لا يفيد، ويقول قدّر الله وما شاء فعل، ولا يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا،...فإن ذلك يورث حسرة النفس وحزنًا لا يفيد".[4]

ويقول الشيخ عبد القادر كذلك: "يا قوم لا تطلبوا الزيادة ولا النقصان، ولا التقدّم ولا التأخّر فإن القدر قد أحاط بكل واحدٍ منكم على حدى، ما منكم إلا من له كتاب وتاريخ يخصّه".[5]

---

[1]– الكِلاءة: مصدر الفعل "كَلأ"، يقول الليث: يُقَال: كَلأَكَ اللهُ كِلاءة؛ أي حَفظك وحَرسك، والمفعول منه مكلوء. أُنظر: ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 3909.

[2]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص27.

[3]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص24.

[4]– عبد الله الشرقاوي، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، المرجع السابق، ص319.

[5]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص29.

ويقول كذلك: "ويحك، تضيع قلبك في الدنيا وقد فرغ الله –عزّ وجل– من أقسامك منها، وقد قدر لها أوقاتها معروفة عنده، كل يوم يتجدّد لك رزق جديد طلبتَه أم لم تطلبه".[1]

فمن أعظم أسباب حصول الرضا أن يلزم العبد ما جعل الله فيه، "والراضي الموافق تستوي عنده الحالات من النّعمة والبلية في رضاه بحسن اختيار الله له؛ لأنه مفوّض والمفوّض راضٍ بكل ما اختاره الله له، ولأنه جازم بأن لا تبديل لكلمات الله ولا رادّ لحكمه، فالنعمة والبليّة بقضاء سابق، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن...ولأنه مسلم، والمسلم من قد سلّم نفسه لله، ولم يعترض عليه في جريان أحكامه عليه، ولم يسخط ذلك".[2]

وقال –رحمه الله–: "الزموا موافقة الحق –عز وجل– في السرّاء والضّراء، والفقر والغِنى والشّدّة والرّخاء، في السقم والعافية، في الخير والشر، في العطاء والمنع، ما أرى لكم دواءً إلّا التسليم إلى الحق –عز وجل–؛ إذا قضى عليكم بشيء لا تستوحشوا منه، ولا تنازعوه فيه ولا تشكوا منه إلى غيره، فإن ذلك مما يزيدكم بلاء بل سكونا وسكوتًا وخمولًا، اثبتوا بين يديه وانظروا ماذا يعمل فيكم وبكم، تفرحوا على تغييره وتبديله، إذا كنتم معه هكذا لا جرم يغيّر الوحشة بالأُنس والتوحيد".[3]

"فإذا أصاب العبد الضّرّاء والبلاء عَلِم أن هذا بتقدير الله ابتلاء منه، فلا يجزع ولا ييأس، بل يحتسب ويصبر، فيسكب هذا الإيمان في قلب العبد المؤمن الرّضا والطمأنينة".[4]

"وممّا يهون الرّضا بما يقضيه الله من المصائب عِلمُ العبد بأن تدبير الله خير من تدبيره، والرضا بالألم لِما يتوقّع من جزيل الثواب المدّخر، والرضا به لا لحظّ وراءه، بل لكونه مراد المحبوب سبحانه".[5]

فيقول الشيخ –رحمه الله–: "المؤمن يثبت عنده أن الله –عزّ وجلّ– ما يبتليه بشيء إلا لمصلحة تعقب ذلك، إما دنيا أو آخرة، فهو راضٍ بالبلاء وصابر عليه غير متّهمٍ ربَّه –عز وجلّ–".[1]

---

[1]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص34.

[2]– مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج2/ ص2057، 2058.

[3]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص30.

[4]– عمر سليمان عبد الله الأشقر، القضاء والقدر، المرجع السابق، ص110.

[5]– مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج1/ ص895.

ويقول كذلك—رحمه الله-: "يا قوم وافقوا القدَر...موافقتي للقدَر تقدّمني إلى القادر"[2]، ويُضيف أيضًا: "من لا يوافق القدَر لا يُرافق ولا يُوافق، من لم يرضَ بالأقضية لا يرضى عنه".[3]

فالرّضا بالقدَر وموافقتُه يقرّب العبد من ربّه، "لأن رضاه عن ربّه في جميع الأحوال يُثمِر رضا ربّه عنه؛ فإذا رضِي العبد عن ربّه بالقليل من الرزق رضي ربُّه عنه بالقليل من العمل".[4]

ويوصي كذلك —رحمه الله-: "يا قوم تعالوا نذلّ لله —عز وجلّ- ولقدَره وفعله، ونُطأطئ رؤوس ظواهرنا وبواطننا ونوافق القدر ونمشي في ركابه...فإذا فعلنا ذلك معه حملنا في صحبته إلى القادر، فـ "هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلّهِ الحَقّ"، يهنأ لك الشرب من بحر علمه، والأكل من سماط فضله، والاستئناس بأُنسه والتّغمّد برحمته..."[5]، وقال كذلك: "صيّروا أنفسكم تحت مطارق قدَره، وإلزموها بالشكر على نعمه...فإذا تحقّق ذلك منكم جاءتكم كرامة الله —عز وجلّ- وجنّته في الدنيا والآخرة".[6] نعم فمُوافقة القدر والرّضا به تُثمِر فتحًا على العبد وإكرامًا له، وقربًا و أُنسا.

2- شفاءُ القلب من الحسد وجميع أمراض القلوب:

"فمن تمام الإيمان بالقدر ترك الحسد، والتسليم لله في جميع الأمور؛ فالمؤمن الحق لا يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله؛ لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم معايشهم، فأعطى من شاء لِحكمة، ومنع من شاء لِحكمة".[7]

يقول تعالى: ﴿قُلِ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:72]، ويقول كذلك: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [النساء:32].

---

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص43.

[2]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص8.

[3]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص40.

[4]- مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، المرجع السابق، ج2/ ص 2058.

[5]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص9.

[6]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر نفسه، ص53.

[7]- مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، الإيمان بالقضاء والقدر، المرجع السابق، ص158.

وإذا تحقّق المؤمن بهذه المعاني، وبمعاني حديث ابن عبّاس –رضي الله عنه–، وأيقن أن الله هو المعطي وهو المانع –سبحانه–، وآمن بأن قدره ورزقه كُتِب له في اللّوح المحفوظ، سيخرج من قلبه الحسد ويطمئن على رزقه، فلا يحقد على غيره ولا يتمنى زوال نِعمهم.

3– الصبر:

يقول الشيخ عبد القادر –رحمه الله–: يا غلام نَم تحت ميزاب القدَر متوسّدًا بالصبر، متقلّدًا بالموافقة عابدًا بانتظار الفرج..."[1]

"وليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء؛ وإنما صَعُب الصبر لأن القدر يجري في الأغلب بمكروه النفس، وليس مكروه النفس يقف على المرض والأذى في البدن، بل هو يتنوع حتى يتحيّر العقل في حكمة جريان القدر. فمِن ذلك أنك إذا رأيتَ مغمورًا بالدنيا، قد سالت له أوديتها حتى لا يدري ما يصنع بالمال، فهو يصوغه أواني يستعملها...ويلبس الحرير، ويظلم الناس، والدنيا منصبة عليه، ثم ترى خَلقًا من أهل الدين وطلّاب العلم، مغمورين بالفقر والبلاء، مقهورين تحت ولاية ذلك الظالم، فحينئذٍ يجد الشيطان طريقًا للوسواس، ويبتدئ بالقدح في حكمة القدَر، فيحتاج المؤمن إلى الصبر على ما يلقى من ضرّ في الدنيا، وعلى جدال إبليس في ذلك".[2]

فليس للمؤمن من دواء يواجه به أقدار الله سوى الصبر، الذي يكتسبُه العبدُ من إيمانه الرّاسخ بعقيدة القضاء والقدَر، ويقينه الثّابت في حكمة الله وعدله، ومما يقوّي الصبر لدى المؤمن إيمانه بالمسبّب لا بالأسباب، وبالمقتدر لا بالأقدار.

فيقول الشيخ –رحمه الله–: "يا غلام، إذا جاءك الداء فاستقبله بِيدِ الصبر، وأُسكن حتى يجيء الدواء، فإذا جاء الدواء فاستقبِله بيد الشكر".[3]

وقد عالج النبيُّ –صلى الله عليه وسلم– هذا المعنى في حديثه الذي رواه مسلم، "حدّثنا هداب بن خالد الأزدي وشيبان بن فروخ، جميعا عن سليمان بن المغيرة (واللفظ لشيبان)، حدّثنا سليمان، حدّثنا ثابت

---

[1]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص8.

[2]– أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، صيد الخاطر، تح: حسن المساحي سويدان، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1425هـ- 2004م، ص107.

[3]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص11.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب، قال: قال رسول الله –ﷺ–: **"عجَبًا لأمرِ المؤمن، إنّ أمرَه كلّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكَر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبرَ فكان خيرًا له"**.[1]

"والصبر عند البلاء والشكر عند الرّخاء من مراتب الإيمان، ومرحلة من مراحل اليقين في نفس المؤمن.

إليك هذا الحوار الذي دار بين أهل المعرفة من الزّهّاد، وكيف كانوا يتبارؤن في الوصول إلى هذه المراقي الإيمانية، ويتنافسون فيها، لا عن مباهاة ومفاخرة، إنما عن نيّة خالصة في الرّقيّ الإيمانيّ. يسأل أحد هؤلاء المتمكّنين صاحبَه: كيف حال الزّهّاد في بلادكم؟ فقال: إن أصابنا خير شكرنا، وإن أصابنا شرّ صبرنا، فضحك الشيخ وقال: وما في ذلك؟ إنه حال الكلاب في بَلْخ[2]، أمّا عندنا فإن أصابنا خيرٌ آثَرنا، وإن أصابنا شرّ شكرنا".[3]

فأين نحن من هؤلاء الصالحين؟ وأين نحن من صبر سيدنا أيوب –عليه السلام– الذي قال في حقّه المولى –تبارك وتعالى–: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 43]، حتى أن الصبر –في كثير من الأحيان– يُقرَن باسمه؛ إذْ مثَّلَ –عليه السلام– أعظمَ نماذج الصبر في تاريخ البشر.

فيقول الشيخ كذلك: "قابلوا العسر بالصبر، واليُسر بالشكر، هكذا كان مَن تقدّمكم مِن النبيّين والمرسلين والصالحين، يشكرون على النعم ويصبرون على النقم".[4]

فالناس يُبتلَوْن على قدر إيمانهم، وأكثرهم بلاءً أنبياء الله –عليهم السلام–، وقد وفّقهم الله للصّبر على البلاء وعدم التسخّط على قضاء الله، فالأحرى بنا كمؤمنين أن نقتدي بهم ونسير سيرَهم.

---

[1]– أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم 2999، المرجع السابق، ج4/ ص2295.

[2]– بَلْخ: كُورة (مدينة) بخُراسان، انظر: ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص340.

[3]– مُحَمَّد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، المرجع السابق، ج16/ ص9729.

[4]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص16.

ويقول –رحمه الله-: "إنما يُظفَر بما عند الله عز وجل بالصبر، ولهذا أكّد الله عز وجل أمر الصبر، الفقر والصبر لا يجتمعان إلا في حق المؤمن".[1]

وقال: "يا غلام مَن صَبر قدَر"[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزّمر: 11]. فمن صبر سيغمره الله بلطفه وعطاياه، ويثبّته عند الشدائد.

ويقول الشيخ كذلك: "اصبروا فإن الدنيا كلها آفات ومصائب، والنادر منها غير ذلك، ما من نعمة إلا وفي جنبها نقمة، ما من فرحة إلا ومعها ترحة، ما من سعة إلا ومعها ضيق".[3] فبَعد كلّ محنة منحة وبعد كل شِدّة شَدّة إلى الله تعالى.

قال الله –عز وجلّ-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:200]. فيقول الشيخ عبد القادر: "و في الصبر آيات كثيرة في القرآن تدلّ على ما فيه من الخير والنّعم، وحُسن الجزاء والعطاء والراحة دنيا وأخرى، عليكم به وقد رأيتم الخير عاجلًا وآجِلًا".[4]

وقد بيّن الله تعالى في محكم تنزيله فضلَ الصّابرين فقال سبحانه: ﴿و لَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلاَمْوَالِ وَالانفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٤﴾ ٱلذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ ٱوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَٱوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 154-156]. وبيّنَ أنهم في معيّته –عز وجل- فقال: ﴿وَاصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

---

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص13.

[2]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص20.

[3]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص39.

[4]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص31.

4- الراحة، الطمأنينة والسكينة:

الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرّه يجعل قلب المؤمن يطمئنّ، وتسكن نفسه ويرتاح باله، ويشعر بالاستقرار النفسي في جميع الحالات سرّائِها وضرّائِها، يقول تعالى: ﴿ٱلذِين ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ اوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلاَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]. وهذا الأمن يكون نفسيًّا بأن يصبّ اللهُ الراحةَ والطمأنينة على قلوب هؤلاء المؤمنين، قبل أن يكون أمنًا جسديًّا صحّيًّا.

كما أن الرّضا بأقدار الله والتسليم بها يُبعد المؤمن عن القلقِ والاضطرابِ على رزقه ومستقبله، والتوتّرِ من النتائج أو حتى الاكتئابِ من الابتلاءات، ويوصِله إلى كمال الراحة والطمأنينة التي لا يُخالطها جزَع ولا يأس.

"فإن المؤمن العاقل متى صحّ فهمُه لحقيقة القضاء والقدَر، وامتلأ قلبه عقيدة بأن كل ما يجري له من نِعم، وما ينزل به من مصائب، أمرٌ محتوم مرسوم، مراد لله تعالى، مقضيّ بقضائه، محدّد بتقديره، منفَّذ بقدرته، وراقب مع ذلك صفات الله العظيمة التي منها: علمه وحكمته، ورحمته وعدله، ثم وضع بين عينيه قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 214]، إنه متى آمن بهذا وفهمه فهمًا صحيحًا اطمأنّ قلبُه لكل ما يجري في الكون ممّا لا كسب له فيه، ورضي بمراد الله مهما كان ذلك الأمر محزِنًا أو مُسرًّا، وانتقل من الأكوان إلى مكوّنها، فارتقى في سلّم محبة الله والقرب منه".[1]

ويُضيف الميداني: "فإن المؤمن -وهو في مقام حُبّه لربّه- حَريّ بأن يقول مطمئن القلب: رضيتُ بالله ربّا، وبقضائه حكمًا، إنه وليّي، وهو حسبي ونعم الوكيل، وبذلك يُفرغ الله على قلبه معانٍ من السعادة لا يجدها في شيء آخر من محابّ الدنيا ومسرّاتها".[2]

[1]- عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ص801.

[2]- عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، المرجع نفسه، ص802.

5- السلامة من النفاق:

فكيف أعتقد بأن الله فطر السماوات والأرض، وأعترض عليه عند نزول قدره، أعترض عليه إذا أفقرني، أو إذا أصابني مرض أو بلاء، فهذا يسمى نفاق، والنفاق أن أُظهِر خلاف ما أُبطن.

يقول الشيخ –رحمه الله-: "يا غلام، ارجع إلى الرضا، لا تدعُ بلسانك وقلبك معترض".[1]

فالرّضا بقضاء الله وقدره خيره وشرّه يسلمّ القلب من النفاق.

6- تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى:

ومنها التحقّق بمعنى التوحيد، فيقول الشيخ –رحمه الله-: "إذا قلتَ لا إله إلا الله فقد ادّعيت، يُقال: أيها القائل ألك بيّنة؟ فامتثال الأمر والانتهاء عن النهي والصبر على الآفات والتسليم إلى القدر هذه بيّنة هذه الدعوى"؛[2] أي هي دليل توحيد المؤمن، فيكون مدى تحقّق المؤمن من توحيده لله مرتبطًا بمدى إيمانه بقدَر الله وتسليمه له وعدم اعتراضه عليه، سواء كان خيرًا أو شرًّا، وإذا حقّق كمال التوحيد، حقّق كمال العبودية لله تعالى.

ويقول الشيخ عبد القادر: "الاعتراض على الحق –عز وجل- عند نزول الأقدار موت الدين موت التوحيد، موت التوكّل والإخلاص".[3] وبمفهوم المخالفة الإيمانُ بالقدر والتسليم له حياةُ الدين، وحياة الإيمان في القلوب، فيقول -رحمه الله-: "حياة القلب بامتثال أمر الحق –عز وجل- والانتهاء عن نهيه، والصبر معه على بلاياه وأقضِيَته وأقداره".[4]

فهو بقوله الأول والثاني يُعطينا علاجًا نُحقق به الكثير، أن نتحقّق بحقيقة الدين (الذي يشمل الإيمان والإسلام والإحسان)، ونتحقق بحقيقة لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، ونتحقّق بحقيقة التوكّل والإخلاص، فتَحيى قلوبُنا، كل هذا بدواء بسيط وهو الرضا بقضاء الله وقدَره خيرِه وشرّه. وفي هذا كلِّه تحقيق العبودية الكاملة للمولى –ﷻ-.

---

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص26.

[2]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص 14.

[3]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص6.

[4]- عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص17.

ويقول الدكتور عبد الله الشرقاوي: "أن الذي يؤمن بالقدَر، ويؤمن أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، هذا الإنسان وحده الذي يتحرّر من العبودية الهابطة السافلة للعباد، ويتخلّص للعبودية الصاعدة المتسامية لرب العباد، الذي بيده مقاليد كل شيء...وأن هذه العقيدة (أيْ عقيدة القضاء والقدَر) تُحرّر المؤمنين، وتنزع من قلوبهم الخوف والجبن والخور والتثاقل، وتسكب السكينة في نفوسهم، وتغرس فيهم شجاعة لا نظير لها ولا شبيه".[1]

فحريّة العبد المؤمن في كمال عبوديّته لله تعالى، لذا يقول الشيخ عبد القادر –رحمه الله–: "فإن كنتَ مع الخالق فأنتَ عبده، وإن كنت مع الخَلق فأنت عبدهم".[2] فلو لم يكن العبدُ عبدًا لله، لكان عبدًا لِما سِواه (مِن مال أو شهوة، أو جاهٍ أو سلطان...).

إذًا، الرضا وحسن التوكل على الله، الصبر، وشفاء القلب من الحسد، السلامة من النفاق، الراحة والطمأنينة والسكينة، وتحقيق كمال العبودية لله، هذه كانت بعض الثمرات التربوية لعقيدة القضاء والقدَر على مستوى النفس، والتي تمكّنتُ من استقرائها من بعض مجالس الفتح الرّباني، وغيرُها الكثير.

[1]– عبد الله الشرقاوي، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، المرجع السابق، ص319.

[2]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص25.

ب- على مستوى المجتمع:

كما رأينا الثمرات التربوية للإيمان بالقضاء والقدَر على مستوى النفس، فإنّ له ثمراتٍ تربويةً جمّة أصلحت المجتمع، منها:

1- النصر والظفر:

قال الشيخ عبد القادر –رحمه الله- في عدم الاعتراض على قضاء الله وقدَره: "اصبروا معه ساعة وقد رأيتُم لطفَه وإنعامَه سنين...بالنّصر والظّفَر".[1] نعم فبِالرّضا على أقدار الله واليقين في حكمته وعدله نصرَ الله المؤمنين.

ولنا في رسول الله –ﷺ- وصحابته الكِرام أسوة حسنة؛ "إذْ أنّ الاعتقادَ بقضاء الله وفهمَه على حقيقتِه المقصودة هو الذي مَكّن الصحابةَ –رضوانُ اللهِ عليهم- ومَن تبِعهم مِن حَمْل الدّعوة الإسلامية ونشرها في كافة أرجاء العالم بكلّ إخلاصٍ وتفانٍ، بل كان هذا الإيمانُ رائدَهم في الجهاد في سبيل الله، واستطاعوا به على الرغم من أعدادهم القليلة أن ينصروا كلمة الله، ولم يستكينوا للجُبن أو الخوف أو الضعف والفشل، فنصرهم على أعدائهم وثبّت أقدامهم أمام جيوشٍ قويّة، فقال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 247]".[2]

والشاهد في هذا غزوة بدر الكبرى التي تجلّت فيها أعظمُ صور الإيمان بقضاء الله والتسليم له، وأعظم صور الولاء والبراء لله ورسوله –ﷺ-، والتي "كان الرسول –ﷺ- فيها يقود أصحابه إلى ميدان الجهاد مستضيئًا بهُدى القرآن وتعاليم الإسلام التي تعِد المجاهدين في سبيل الله إحدى الحُسنيَيْن، وتُبشّر الشهداءَ بالحياة السّعيدة الخالدة حيث يقول الله- عز وجل-: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: 169، 170].

---

[1]- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص6.

[2]- عبد السلام التونجي، الإيمان بالقضاء والقدر، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 1426م، ص142، 143 (بتصرفٍ يسير).

ومن أجل ذلك نجحت تلك القيادة الرّشيدة وسادَت حتى عَلا لِواءُ الإسلام في كلّ مكان، وانسابت كلمة الحقّ بين الأمم تُحيِي مَوات الأنفس والأرواح والقلوب، وإن في ذلك لعبرة... ثمّ مَنَّ الله على المسلمين، ومكّن لهم دينَهم الذي ارتضى لهم، وبدّلهم من بعد خوفهم أمنًا... فانتصر الحقّ بفضل الله وعلا لِواؤُه، ولاذَ الباطل بالفَرار وقد أفَلَ نجمُه وطاش سهمُه".[1]

"فبهذا الاعتقاد (في قضاء الله وقدَره) خاضوا الحروب وفتحوا البلاد والأمصار، فتسلّقوا قِمم الجبال، وعبروا الفيافي وقطعوا الأنهار، ومخروا عباب البحر، فرفعوا راية الإسلام فوق كل حصنٍ حصين، ونشروا دين الله متحدّين الصعابَ مواجهين الموتَ مؤمنين بقدر الله وأنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم.

وبهذه العقيدة التي فاضت أنفسُهم بها حقّقوا عزّةَ الإسلامِ وقوّتَه، بنفوس مطمئنّة وقلوب خاشعة لله فكتبوا تاريخ الأمّة الإسلامية بحقائقها المذهلة وتعاليمها الخيّرة، وإنجازاتها الفذّة بنفوس صابرة راضية مرضية".[2]

وقال الشيخ عبد القادر –رحمه الله– أيضا: "كونوا مع الله كما كان الصالحون له، حتى يَكُون لكم كما كان لهم، إن أردتم أن يكون الحق –عز وجلّ– لكم فاشتغلوا بطاعته والصبر معه، والرّضا بأفعاله فيكم وفي غيركم".[3]

وقال كذلك: "تعلّموا موافقة الحق –عزّ وجلّ– من عباده الصّالحين الموافقين".[4]

فلو حقّقنا الرّضا بقضاء الله وقدره وموافقة مراده تعالى، لنصَرنا الله سبحانه، ولَصافَحَتْنا الملائكةُ بأكُفّها في الطّرقات، كما حدث مع الصحابة –رضوان الله عليهم– مع النبي –ﷺ –؛ إذ صبروا ورضوا ولبّوا رسالة الإسلام، فتولّاهم المولى –عزّ وجلّ– بنصْره وكرَمِه وفتحِه فقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُومِنِينَ ﴾ [آل عمران: 67]، بل منهم مَن بشّرهم بالجنة مأوىً لهم.

---

[1]– مُحَمَّد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، دط، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، دت، ص 224، 225، 227، 228.

[2]– عبد السلام التونجي، الإيمان بالقضاء والقدر، المرجع السابق، ص143، 144 (بتصرّفٍ يسير).

[3]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص7.

[4]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص77.

ويقول الشيخ عبد القادر: "القوم أكلوا من طعام فضل الله –عزّ وجلّ–، وشربوا أُنسه وشاهدوا باب قربه، لم يقنعوا بالخَبر بل جاهدوا وصابروا...حتى صار الخير عندهم عيانًا، لمّا وصلوا إلى ربّهم أدّبهم...وعرّفهم أن ليس في السماء والأرض غيره ولا معطي غيره، ولا مانع غيره، ولا محرّك ولا مسكّن غيره، ولا مقدِّر ولا قاضي غيره، ولا مُعِزّ ولا مُذِلّ غيره، ولا مسلّط ولا مسخّر غيره، ولا قاهر غيره..."[1]

هذا ما يحتاجه المسلمون اليوم، في واقعٍ تكالبت فيه جميع الأمم بكلّ القوى لتكسِر شوكةَ الإسلام والمسلمين، وتهدّ كيان الأمّة الإسلامية، لذا يحتاج المسلمون الرضا بأقدار الله والتسليم لها، والتأسّي بصحابة رسول الله –ﷺ– وجميع الصالحين في اتّخاذ هذه العقيدة محرّكًا ودافعًا للعمل والسّعي والجهاد، لإعلاء راية الإسلام والانتصار على أعدائه والتمكين له.

"ولمّا تحلّى المسلمون الأوّلون بهذه العقيدة (القضاء والقدَر) كانوا سادة وقادة، وكانوا خير أمّة أُخرِجَت للنّاس، وتحقّقت لهم السعادة العظمى في الدنيا والآخرة".[2]

2– وحدة المؤمنين واتّحاد مشاعرهم:

وذلك بانتشار التكافل الاجتماعي، التعاون، والمؤازرة، والمواساة بين المسلمين، وهذا ما يُحقّق صلاح المجتمع.

يُروى عن رسول الله –ﷺ–، "حدّثنا مُسدّد قال: حدّثنا يحيى، عن شُعبة، عن قتادة، عن أنسٍ –رضي الله عنه–، عن النبيّ –ﷺ– قال: **"لا يُؤمِن أحدُكم حتّى يُحبّ لأخيه ما يُحبّ لنفسه"**،[3] ويقول الشيخ عبد القادر –رحمه الله–: "هذا قول رئيسنا وكبيرنا وقائدنا وشفيعنا مقدّم النبيين والمرسلين الصدّيقين، قد نفى كمال الإيمان عمّن لا يحبّ لأخيه المسلم مثل ما يحبّ لنفسه، إذا أحببتَ لنفسك أطايب الأطعمة وأحسن الكسوة وأطيب المنازل، وأحسن الوجوه وكثرة الأموال، وأحببت لأخيك المسلم بالضدّ من ذلك فقد كذبت في دعواكَ كمالَ الإيمان".[4]

---

[1]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص121.

[2]– عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ص802.

[3]– أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه، حديث رقم13، المرجع السابق، ج1/ ص14.

[4]– عبد القادر الجيلاني، الفتح الرّباني والفيض الرحماني، المصدر السابق، ص85.

ويضيف –رحمه الله–: "يا قوم، تشبَعون وجيرانُكم جِياع، وتدّعون أنكم مؤمنون".[1]

فالمؤمن بأقدار الله تعالى وعطاياه، وأنه سبحانه يعطي مَن يشاء ويمنع مَن يشاء ، والمؤمن بقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 46]، يشعر بأخيه المسلم الذي مُنِع أو حُرِم نعمةً من نِعَم الله، فيواسيه ويؤازره ويشاركه ممّا رزقه الله، بل من الواجب على المسلمين ألّا يتخلّوا عن إخوانهم عند نزول المصائب والنّكبات والحروب –كما يحدث هذه السنوات مع إخواننا المستضعفين في فلسطين وسوريا والعراق–، وأن يواسوهم امتثالًا لقولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، وقولِ رسول الله –ﷺ– عن النّعمان بن بشير: **"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم و تعاطفهم، كمَثَل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسّهر والحمّى"**،[2] وقولِه –ﷺ– كذلك عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–: **"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلِمه، ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرّج عن مسلم كُربةً فرّج الله عنه كُربة من كُرُبات يوم القيامة، ومَن ستَر مسلمًا ستره الله يوم القيامة".**[3]

وقد لخّص ابن القيّم –رحمه الله– أنواع مواساة المؤمن لأخيه المؤمن فقال: "المواساة للمؤمنين أنواع: مواساةٌ بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدّعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتّوجّع لهم. وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة؛ فكلّما ضعُف الإيمان ضعُفَت المواساة، وكلما قَوي قويت. وكان رسول الله –ﷺ– أعظمَ النّاسِ مواساةً لأصحابه بذلك كلّه.

---

[1]– عبد القادر الجيلاني، المصدر نفسه، ص86.

[2]– أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم5665، المرجع السابق، ج5/ ص2238.

[3]– أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه، حديث رقم 2310، المرجع نفسه، ج2/ ص862.

ودخلوا على بِشر الحافي في يومٍ شديد البرد وقد تجرّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرتُ الفقراء وبَردهم، وليس لي ما أواسيهم به، فأحببتُ أن أواسيهم في بردهم".[1]

"وهذا ما يتجسّد اليوم في بعض مجتمعاتنا التي لا زالت فيها بذور الإيمان حيّة، كمساعدة بعض الدول لبعضها البعض في حالة الحرب أو الفقر أو حلول القضاء الإلهي".[2]

فمِمّا يُثمره الإيمانُ بقضاء الله وقدره، مواساة المؤمنين بعضَهم بعضًا، وتعاونهم وتكافلهم وتشاركهم، ولنا في أنصار رسول الله –ﷺ– أسوة حسنة؛ إذْ تقاسموا أرزاقَهم مع المهاجرين الذين تركوا أموالهم وفرّوا بدينهم نصرةً لله ورسوله، وهذا ما قوّى أواصِرَ الأخوّة بين المسلمين وزادَهم وحدةً وتماسكًا وترابطا.

[1]– أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، الفوائد، تح: مُحَمَّد عزيز شمس، ط4، دار عطاءات العلم، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1440هـ، 2019م، ج1/ ص250.

[2]– نقلًا عن: معمر قول، فقه الإيمان عند بديع الزمان سعيد النورسي دراسة تحليلية في ضوء رسائل النور، المرجع السابق، ص189.

خلاصة المبحث الثالث:

وقد احتوى هذا المبحث الثمراتِ التربويّةَ لباب الإلهيات كنموذج من الدّرس العقديّ، من خلال كتاب الفتح الرّباني للشيخ عبد القادر، ابتداءً بالإيمان بالله فعرّفته وذكرتُ أدلّته من الكتاب والسنة، ثمّ تناولتُ أهمَّ محاوره وهي: مسألة وجود الله التي عرّفتها –كذلك– وعدّدتُ ثمراتها التربوية على مستوى النفس (كالقرب من الله ومحبته تعالى، والخوف والرجاء منه تعالى، وصلاح القلب والتقوى...) وعلى مستوى المجتمع (كوحدة المسلمين وتآلفهم وتناصحهم، وانتشار النزاهة والتعاون بينهم، وتحرير العباد من التخبّط الفكري والعقدي...)، ثم مسألة الإيمان بالأسماء والصفات وأثره التربوي على مستوى النفس والمجتمع (كمعرفة الله وتحقيق العبودية له تعالى، وتعظيمه واستحضار رقابته الدائمة، والحفاظ على الأنفس والأموال، وسواد العدل والمساواة...)، إضافة إلى مسألة الإرادة الإلهية التي تناولتها كمدخل لمبحث القضاء والقدر، الذي خصّصتُ له المطلب الثاني من هذا المبحث؛ فعرّفتُه وعدّدتُ أهمّ ثمراته التربوية على مستوى النفس والمجتمع، كل هذا استقراءً من بعض مجالس الفتح الرّباني.

خاتمة

خاتمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، بعد أن صُلنا وجُلنا بين ثنايا كتاب "الفتح الرّباني والفيض الرّحماني" للشيخ عبد القادر الجيلاني، وحاولنا من خلاله استنباطَ المضامين التربوية للإيمان بالله والإيمان بالقضاء والقدر، فقد خَلُصت إلى جملة من النتائج وبعض الاقتراحات منها:

– النتائج:

1- أن المضمون التربوي للدرس العقدي يتمثل في الحمولة القيمية والأخلاقية للعقيدة الإسلامية.

2- أن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان يسعى إلى التأكيد على شمولية الإيمان لجميع مناحي الحياة، ودوره في تربية النفوس وتزكيتها، من خلال كتاب الفتح الرباني.

3- أن الشيخ عبد القادر –من خلال مجالس الفتح الرباني وبعض آثاره– اجتهد في بناء طليعةٍ تُحيي شعلة الإيمان بالله وتوحيده تعالى في قلوبها وسلوكاتها ومعاملاتها.

4- أن الإيمانَ بالله تعالى وتوحيدَه يُثمر صلاحَ العبد واستقامتَه، وحبَّه وقُربَه للمولى –عزّ وجل–، ويساهم في وحدة المسلمين وتآلفهم وانتشار التعاون والمساواة بينهم.

5- أن الإيمان بالله تعالى يحرّر العباد من التّخبّط الفكري والعقائدي، ويوصلهم إلى تحقيق العبودية الكاملة للواحد الأحد –جلّ في عُلاه–.

6- أن الشيخ عبد القادر يَعتبر الاعتراضَ على أقدار الله من نواقض التوحيد الخالص لله تعالى، والرّضا بها يُحيي التوحيدَ والتوكّل على الله في القلوب.

7- أن الإيمان بالقضاء والقدَر يورِث الصبر والشكر وحسن التوكل على الله، ويشفي القلوب من أمراضها، كما يحقق النصر والظفر للمسلمين.

8- أنَّ هذه الآثار العظيمة للإيمان بالله وقضائه وقدره، تُضفي على الأمّةِ فيضًا ربّانيّا موصولاً بالله، يصِلُ حلقةَ الدنيا بالآخرة، وتُكسِبُ المؤمنين صفاتٍ رفيعةً، وأخلاقًا فاضلةً، ومكارمَ نفيسةً تجعل هذه الأمّة مُستحقّة لِصفة الخيْريّة، ومؤهَّلة لقيادة البشريّة نحو سعادتها.

– **التوصيات:** وهذه بعض الاقتراحات التي أراها جديرة بالذّكر في ختام هذا البحث:

1- إعادة شرح كتاب الفتح الرّباني من طرف أحد مشايخ الصوفية المعاصرين شرحًا مبسّطا؛ بحيث يفهم لغتَه ومعانيه العامّة على اختلاف مستوياتهم الفكرية.

2- إعادة تقديم التراث الصوفي بتسليط الضوء على جوانبه التربوية والتّزكوية بما يفيد الأمة في راهنها، ويسهم في مواجهة التّحدّيات المعاصِرة (من عولمة وغزو فكري وثقافي...)

3- استثمار الجانب الروحيّ التزكويّ (التصوف) والجانب العقدي (علم الكلام)، والجانب التشريعي (الفقه) في بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة (أو الإنسان الخليفة)، وفي هذا تجسيد للتكامل المعرفي على مستوى النظر والتطبيق.

4- ضرورة الإسهام في تصحيح الصور النمطية عن أعلام التصوف وإخراجهم من دائرة الدروشة إلى العلم والفقه والدعوة إلى الله –عز وجل–، وهذه المسوؤلية تقع على عاتق المتخصّصين في العقيدة الإسلامية والتصوف من طلبة وباحثين وأساتذة.

5- توجيه الطلبة في مشاريعهم البحثية في تخصّص العقيدة إلى الاشتغال على تجديد الدرس الكلامي وإخراجه من الجدل والنظر إلى الفعل والعمل، من خلال استثمار مختلف الجهود قديما وحديثا.

6- محاولة إدراج وتفعيل الدرس العقدي في المنظومة التربوية والتعليمية في الأطوار المتوسطة والثانوية، مع مراعاة المستويات التعليمية، ومواكبة العصر.

وفي الختام، آمل أن أكون قد وُفّقتُ في الإلمام بالموضوع من جميع جوانبه، وإيصال فكرة شاملة عن المضمون التربوي للدرس العقدي في باب الإلهيات من خلال كتاب الفتح الرّباني، واللهَ أسألُ أن يُعلّمَنا ما ينفعُنا وينفعَنا بما علّمنا، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلم على الحبيب المصطفى –ﷺ–.

الفهارس

فهرس الآيات الكريمة:

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾	البقرة	21	41
﴿و لَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾	البقرة	155-157	74
﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾	البقرة	177	13،33
﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	البقرة	216	65
﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾	البقرة	247	78
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾	آل عمران	26	55
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾	آل عمران	28	38
﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُومِنِينَ﴾	آل عمران	67	79
﴿قُلِ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾	آل عمران	72	71
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	آل عمران	102	40
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً﴾	آل عمران	103	42
﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ قُتِلُواْ﴾	آل عمران	170،169	78
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾	آل عمران	200	74
﴿وَخُلِقَ ٱلإِنسَـٰنُ ضَعِيفاً﴾	النساء	28	64
﴿وَلا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ﴾	النساء	32	71
﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾	النساء	32	67
﴿وَالذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾	النساء	33	11
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	النساء	136	33

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾	المائدة	01	11
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ﴾	المائدة	25	67
﴿ٱلذِين ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم﴾	الأنعام	82	75
﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَماً﴾	الأنعام	114	56
﴿وَاصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾	الأنفال	46	74
﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾	هود	107	59
﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ﴾	إبراهيم	10	35
﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾	الحجر	42	69
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ﴾	النحل	40	59
﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾	النحل	53	55
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَـٰنِ﴾	النحل	90	57
﴿قُلِ ادْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ادْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾	الإسراء	110	46
﴿ٱللهُ لآَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ ٱلاَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	طه	7	46
﴿لاَيُسْـَٔلُ عَمَّايَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾	الأنبياء	23	64
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُّعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾	الحج	30	49
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾	الحج	62	32
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيراً﴾	الفرقان	2	14،61
﴿ٱلذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾	الشعراء	81-78	67
﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾	الشعراء	89،88	40
﴿فَأَقِم وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾	الروم	30	35
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾	فاطر	15	53

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	الصافات	96	63
﴿إِنَّا وَجَدْنَهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ﴾	ص	43	73
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم﴾	الزّمر	11	74
﴿فَالْحُكْمُ لِلهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾	غافر	12	56
﴿لِّلهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾	الشورى	46	80
﴿إِنَّمَا الْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	الحجرات	10	81
﴿إِنَّمَا الْمُومِنُونَ الذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	الحجرات	15	12
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ﴾	الذاريات	56	45
﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ﴾	القمر	49	14،61
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾	الحديد	22	65
﴿تَبَـٰرَكَ الذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	الملك	1	55
﴿هُوَ الذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا﴾	الملك	15	67
﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾	البروج	12	38
﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾	الْأَعْلَى	3-1	14،61
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	الشمس	10-9	
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَـٰكِمِينَ﴾	التين	8	56
﴿أَلَم يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾	العلق	14	52

فهرس الأحاديث النبوية:

الرقم	الحديث	الصفحة
1	"الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله"	33، 61
2	"إن أوّل ما خَلق الله القلم"	64
3	"إِنَّ الحلال بيّنٌ وإِنَّ الحرام بَيّنٌ"	38
4	"إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا"	46
5	"إِنّ اللّه قال: من عَادَى لِي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"	35
6	"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم"	79
7	"عجَبًا لأمرِ المؤمن"	72
8	"لا يُؤمِن أحدُكم حتّى يُحبّ لأخيه"	79
9	"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلِمه"	80
10	"المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويدِه"	45
11	"وكَّل اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا"	58
12	"يا غلام إني أعلّمك كلمات"	67

فهرس الأعلام المُتَرجَم لهم:

الرقم	العَلَم	الصفحة
1	أحمد بن أبي بكر بن المبارك أبي السعيد الحريمي.	26
2	بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار.	25
3	حمّاد الدّباس.	25
4	أبو الخطّاب محفوظ الكَلْوذاني الحنبلي.	24
5	أبو زكرياء يحيى بن عليّ التّبريزيّ.	25
6	أبو سعيد المخَرَّمي.	25
7	الشريف البعقوبي.	23
8	عبد القادر بن أبي صالح جنكي دوست الجيلي.	19
9	عبد الله الصومعي.	20
10	أبو غالب محمّد بن الحسن الباقلّاني.	24
11	فاطمة أم الخير بنت عبد الله الصومعي.	20
12	أبو الفتح نصر بن المنيّ.	26
13	محمود بن عثمان بن مكارم النّعَّال.	26
14	الموفّق بن قدامة.	27
15	أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي.	24

قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم.

– المصادر:

1- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ-2001م.

2- أبو الحسين أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دم، 1399هـ- 1979م، ج.2

3- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، حديث رقم 19، تح: قصي مُحَمَّد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، ط1، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1430هـ، 2009م.

4- عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، ط1، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا- بغداد، 2007.

5- أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تح: مصطفى ديب البغا، ط5، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، سوريا، 1414هـ- 1993م.

6- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: مُحَمَّد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، بيروت، لبنان، 1419هـ، ج1.

7- مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1374هـ- 1955م.

8- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، مُحَمَّد أحمد حسب الله، هاشم مُحَمَّد الشاذلي، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، باب الراء.

المراجع:

1- أحمد أحمد غلوش، دعوة الرسل عليهم السلام، ط1، مؤسسة الرسالة، 1423هـ، 2002م.

2- أحمد حطيبة، شرح رياض الصالحين، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج25.

3- أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت.

4- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1429هـ-2008م، ج1.

5- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت- باريس، 2001، ج.1

6- جمال الدين الأفغاني، العروة الوثقى ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1980.

7- جمال الدين فالح الكيلاني، جغرافية الباز الأشهب قراءة ثانية في سيرة الشيخ عبد القادر الكيلاني وتحقيق محل ولادته وفق منهج البحث العلمي "دراسة تاريخية عربي- آوردو"، تقديم عماد عبد السلام رؤوف، ط5، دار الإسلام، لاهور، 2019م.

8- جمال الدين فالح الكيلاني، هكذا تكلم الشيخ عبد القادر الكيلاني، ط1، دار الكتب العالمية، داكا بنغلاديش، 14535هـ- 2014م.

9- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، صيد الخاطر، تح: حسن المساحي سويدان، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1425هـ- 2004م.

10- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: مُحَمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412 هـ- 1992م، ج18.

11- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ج1.

12- ابن حجر العسقلاني، غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، دط، كلكته، 1903م.
13- حسن البنا، رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دط، دت، دم.
14- أبو الحسن علي الحسني الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، تقديم: مصطفى السباعي، مصطفى انحن، ط3، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1428هـ- 2007م، ج1.
15- خالد بن عبد الرحمن الحسينان، هكذا كان الصالحون، دط، مركز الفجر للإعلام، دم، 1430هـ- 2009م.
16- ابن رجب زين الدين أبو الفرج، الذيل على طبقات الحنابلة، تح: مُحَمَّد حامد الفقي، دط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، 1732 هـ - 1952م، ج1.
17- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: ، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، 1434هـ - 2013م، ج20.
18- شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، تقديم: بشار عواد معروف، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ، 1985م، ج.19
19- عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط2، دار القلم، دمشق- بيروت، 1399هـ- 1979م.
20- عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، ط1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1414هـ- 1994م.
21- عبد السلام التونجي، الإيمان بالقضاء والقدر، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، 1426م.
22- عبد العزيز عز الدين السيروان، الإيمان أركانه- دلائله- ثمراته شرح الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية للشيخ الطاهر الجزائري، ط2، مكتبة الأنوار، دمشق، سوريا، 1412هـ- 1991م.

23- عبد القادر الجيلاني، رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله، تح: مُحَمَّد غسان نصوح قول، ط1، دار السنابل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1413هـ- 1992م.
24- عبد القادر الجيلاني، الغُنية لِطالبي طريق الحق عز وجل (في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية)، تح: أبو عبد الرحمن صلاح بن مُحَمَّد بن عويضة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ- 1997م، مقدمة المؤلف، ج1.
25- عبد الله بن جار الله آل جار الله، الإسلام والإيمان والإحسان، دط، دم، دت.
26- عبد الله بن جار الله آل جار الله، التوكل على الله وأثره في حياة المسلم، دط، دم، دت.
27- عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقتُه- خوارمُه- نواقضه عند أهل السنة والجماعة، تقديم: عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط1، مدار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1424هـ- 2003م.
28- عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، ط2، مكتبة الرشد، 1424هـ.
29- أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، الفوائد، تح: مُحَمَّد عزيز شمس، ط4، دار عطاءات العلم، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1440هـ، 2019م، ج1.
30- عثمان بن جمعة ضميرية، أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، ط1، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، 1461هـ- 2000م.
31- علي بن جابر الفيفي، لأنّكَ الله رحلة إلى السماء السابعة، ط1، دار الحضارة للنشر والتوزيع، دم، دت.
32- عمر سليمان عبد الله الأشقر، سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، القضاء والقدر، ط13، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1425هـ- 2005م.
33- لطفي بركات أحمد، في الفكر التربوي الإسلامي، ط1، دار المرين، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1402هـ-1982م.
34- مجدي الهلالي، حطِّم صَنمك وكُن عند نفسك صغيرًا، دط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، دم، 1424هـ- 2004م.

35- مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، الإيمان بالقضاء والقدر، تقديم: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، ط2، دار الوطن للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1416هـ.
36- مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، الإيمان بالله، دط، دم، دت.
37- مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة فقه القلوب، دط، بيت الأفكار الدولية، دت، الباب الرابع فقه الإيمان بالله، ج.2
38- مُحَمَّد بكر إسماعيل، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها، ط1، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1421هـ- 2000م.
39- مُحَمَّد بن أبي بكر ابن القيّم الجوزية، عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين.
40- مُحَمَّد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، دط، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، دت.
41- مُحَمَّد عبد الله الشرقاوي، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع أصوله وفروعه مقتضياته ونواقضه، ط2، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، جامعة القاهرة، 1410هـ، 1990م.
42- مُحَمَّد متولّي الشعراوي، تفسير الشعراوي، دط، مطابع أخبار اليوم، دم، 1997م.
43- ابن الملقّن، طبقات الأولياء، دط، دم، دت.
44- مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول الدعوة وطرقها 4، دط، جامعة المدينة العالمية.

الرسائل العلمية:

1- العابد ميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع التربية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2013-2014م.
2- معمر قول، فقه الإيمان عند بديع الزمان سعيد النورسي دراسة تحليلية في ضوء رسائل النور، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الدين، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، 1424-1425هـ.

المخطوطات:

1- الواسطي، تذكرة المقتفين لآثار أولي الصفا وتبصرة المقتدين. مخطوطة مصطفى جواد، لدى ولده جواد مصطفى جواد.

2- ابن الوردي، مخطوط خريدة العجائب وفريدة العجائب، نسخة سالم الألوسي.

فهرس الموضوعات:

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	إهداء.	-
2	شكر وعرفان.	-
3	ملخص الدراسة بالعربية.	-
4	ملخّص الدراسة بالإنجليزية.	-
5	مقدمة.	أ-خ
5	المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.	9
6	المطلب الأول: مفهوم التربية.	9
7	الفرع الأول: تعريف التربية لغة.	9
8	الفرع الثاني: تعريف التربية اصطلاحًا.	11-10
9	الفرع الثالث: تعريف المضمون التربوي.	13
10	المطلب الثاني: مفهوم العقيدة.	14
11	الفرع الأول: تعريف العقيدة لغة.	14
12	الفرع الثاني: تعريف العقيدة اصطلاحًا.	17-15
13	الفرع الثالث: تعريف الدرس العقدي.	18
14	المبحث الثاني: الشيخ عبد القادر الجيلاني وكتابه الفتح الرباني والفيض الرحماني.	19
15	المطلب الأول: ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني.	19
16	الفرع الأول: نسبه ومولده.	20-19
17	الفرع الثاني: نشوؤُه.	21-20
18	الفرع الثالث: حياته العلمية.	27-21
19	الفرع الرابع: وفاته وآثاره.	30-27

20	المطلب الثاني: التعريف بكتاب الفتح الرّباني والفيض الرحماني.	30
21	الفرع الأول: العرض الخارجي (الشكلي) للكتاب.	30
22	الفرع الثاني: العرض الداخلي (الموضوعي) للكتاب.	32-31
23	المبحث الثالث: الثمرات التربوية للدرس العقدي –باب الإلهيات أنموذجًا-	35
24	المطلب الأول: الثمرات التربوية للإيمان بالله (على مستوى النفس والمجتمع).	35
25	الفرع الأول: تعريف الإيمان بالله و الاستدلال عليه.	37-36
26	الفرع الثاني: الإيمان بوجود الله وأثره التربوي.	38
27	على مستوى النفس.	44-39
28	على مستوى المجتمع.	49-45
29	الفرع الثالث: الإيمان بالأسماء والصفات، وأثره التربوي.	49
30	على مستوى النفس.	58-50
31	على مستوى المجتمع.	61-58
32	الفرع الرابع: الإيمان بالإرادة الإلهية.	62
33	المطلب الثاني: الثمرات التربوية للإيمان بالقضاء والقدر(على مستوى النفس والمجتمع)	63
34	الفرع الأول: تعريف القضاء والقدر، والاستدلال عليه والتمثيل له.	65-63
35	الفرع الثاني: اعتراض الإنسان على قضاء الله وقدَره.	68-66
36	الفرع الثالث: الثمرات التربوية لعقيدة القضاء والقدَر.	69
37	على مستوى النفس.	80-70
38	على مستوى المجتمع.	85-81
39	خاتمة.	89-88
40	فهرس الآيات الكريمة.	93-91
41	فهرس الأحاديث النبوية.	94
42	فهرس الأعلام المترجَم لهم.	95

43	قائمة المصادر والمراجع.	96- 102
44	فهرس الموضوعات.	103- 105